الأستاذ البنوري

وشيء من حياته وأفكاره

(١)

بقلم

المحدث الكبير علامة العصر فضيلة الشيخ

محمد يوسف البنوري

حفظه الله

مدير المدرسة العربية الإسلامية وشيخ الحديث بها

ورئيس وفاق المدارس العربية بباكستان

وأمير مجلس تحفظ ختم النبوة

قام بطبعه

مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي

كراتشي رقم ٥ باكستان

تقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت حركات سياسية ودينية فى نصف هذا القرن الغابر فى آخر عهد الدولـة البريطانية ما أصبح وسيلةً لطىّ بساطها عن الهنـــد المتحدة الغير المنقسمة ، واشرأبت أنظار وتوجهت أفكار إلى إنشاء حكومة إسلامية فى البلاد، وإزالة ما أحدثته تلك الحكومة الغاشمة ، وإبادة آثارها المشئومة ، وأن يحدث بدلاً عنها نظام إسلامى للمسلمين يتخذ وسيلةً إلى رقىّ المجتمع البشرى وإلى نهضة المسلمين إلى نظـــام صالح ديناً وسياسةً شعباً وحكومةً .

فى مثل هذه الظروف بدأ على بسيط الهند حركة الأستاذ أبى الأعلى المودودى وتشكيل جماعته الإسلامية بإدعائه بـــذل الجهود لإنشاء حكومة صالحة ونظام صالح باسم " تجديد الدين وإحيائه " بأسماء حسنة جلبت الأنظار والأفكار ، وسرعان أن لبى الشعب دعوته حيث زعموا فيها شفاء تلك الغلة وملأً لذلك الفراغ الملموس ، وأخذوا يثنون على ندائه ودعوته ، فأخذ يتقدم إلى الأمام فى تقدير وثناء من بعض الأكابر وتأييد من بعض وشركة طائفة معه ، فترعرعت الحركة وتقوت وتقدمت وتضلعت .

ولكن بالأسف ظهرمن قلمه ما نبـــه أرباب الفراســـة الإيمانية ، وأحسوا بنور قلوبهم الثاقب خطرات فى أفكاره من زيغ وانحراف وطعن على السلف من أقدم العصور إلى اليوم

كما يتفوه به ملاحدة العصر فى كل عهد بأن الإسلام فشل فى إرقاء المجتمع بسوء عمل القائمين به، ولم تكن تلك الأيام المباركة إلا سنوات قليلة معدودة، وكان حظها ضئيلاً؛ فيا سبحان الله ! دين أعلن الله سبحانه وتعالى أن يظهره على الأديان كلها ، وأنه يحفظه إلى قيام الساعة، ونادى سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه بأنه لا تزال طائفة إلى قيام الساعة قائمة بالحق ، وإن أمته خير أمة ، وإنه لا تجتمع على ضلالة ، ومثل الأمة كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره، وإنه يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وما إلى ذلك مما دل عليه من آيات بينات ؛ وأقوال من سيد البشر ﷺ ساطعات لامعات تدل على بقاء الخير فى الأمة فى كل جيل ، فمن يرفع صوته بضد هذا يكذب الله ورسوله ؛ فهل مثل المودودى هو الذى يبعثه من جديد ويقوم بما لم تقم به الأمة سلفاً وخلفاً ؛ فيا للعجب !

فتنبه لمثل هذه الدعاوى العريضه أفذاذ من الأكابر وأزعجهم من بعد ما أحسنوا الظن ، وقاموا للذب عن الدين والقضاء على هذه الفكرة الخاطئة التى تدع الديار بلاقع ؛ فمن هؤلاء الأكابر حضرة المحدث بركة العصر مولانا الشيخ محمد زكريا الكاندلوى الصديقى صاحب المؤلفات البارعة فى الحديث ، الذى انقضت حياته فى العكوف على خدمة العلم تدريساً وتأليفاً ، فكتب خطاباً إلى بعض العلماء الذى غره سمته ، وطبع هذا الخطاب ورجانى كتابة تقدمة على الخطاب ؛ فلبيت تلك الدعوة المباركة وكتبت ما يأتى عليك بيانه ، والله ولى الهداية والتوفيق .

محمد يوسف البنورى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

أما بعد ؛ فلاريب أن سنة الله الأزلية قد جرت فى هذه الكائنات أن كل كمال فى الدنيا ، أو براعة فى الفن ، أو حذاقة فى صنعة من الصنائع الدنيوية من حدادة ونجارة ، أو صياغة أو دباغة ، أو حياكة ونسج أو خياطة ، وما إلى ذلك من حرف الدنيا وصنائع البشر لايتمُّ النبوغ فيها إلا بالاستفادة من أربابها والتعلم من مهرة الفن ، فما ظنك بفنون من الطب والجراحة ، والهندسة والحساب ، والمنطق والفلسفة وعلوم الطبيعة ، مع أنها من مخترعات العقول الإنسانية والتجارب البشرية ؛ فإذا كانت والحال هذه فى الفنون التى اخترعها الإدراكات البشرية فماذا يكون حال تلك الحقائق الإلهية من علوم النبوة ومعارف الرسالة وأحكام الشريعة وعلوم القرآن والسنة التى معينها لا ينضب ، وينابيعها ثرة فياضة ، اتصلت سلسلتها بوحى السماء وبعالم الغيب ، نزل بها جبرئيل الأمين على صدر النبى الأمى الذى أصبح أعلم الأولين والآخرين ، عليه صلوات الله وسلامه .

فكان الله عزوجل معلماً بالوحي الرباني الذي يقصر عنه شأو العقول والإدراكات ، وكان الأنبياء والمرسلون تلقوه متعلمين مستفيدين ، ثم في الاستفادة والتعلم منهم يحتاج إلى القرب منهم والصحبة معهم ، واستنارة القلوب بأنوار أنفاسهم القدسية وتوجهات أرواحهم الزكية ؛ فالقرب والصحبة وتوجيه أرباب النبوة إلى قلوبهم وتعليمهم علمياً وعملياً حالاً وذوقاً كل ذلك مؤثر في تكوين طبائعهم وإصلاح بواطنهم وظواهرهم وتزكية نفوسهم حتى يكونوا من الراسخين في العلوم ، والمهتدين بأنوارهم الثاقبة .

فهؤلاء التلاميذ والطلبة المتعلمون يكونون من أصحاب الأنبياء ، وأصبح لقب الصاحب أوفى تعبير لكل فضل وكمال علماً وديناً ، وخلقاً وسيرةً وسريرةً فوق كل ثناء ومجد ، ويكون تأثير توجه النفس أشدّ وأقوى ، وأسدّ من تعبير الألفاظ وتصوير الكلمات ، فيكون أصحاب النبيين خير خلفاء للنبيين وارثين لعلومهم ومعارفهم وأنوارهم وآثارهم ، ومهما طالت صحبته وقويت نفسه يكون أشبههم بالأنبياء هدياً وهدىً ، دلاً وسمتاً ، سيرةً وسريرةً .

وبالجملة : الاستغناء من التلقي والاستفادة لايستقيم ، والتعلم بالصحبة والقرب منهم هو الصراط المستقيم ، ثم إن علوم النبوة وورائتها خلافة للنبوة في هداية النفوس وإرشاد العباد ، فتشتدّ عداوة إبليس اللعين القرين لكل إنسان ، وما من شك أنه

يلبس على المرأ طريق الهداية بالضلالة ما هو معروف من عداوته وتزيينه للمرأ كل ضلالة وشر، والوسوسة بتدابير دقيقة؛ فيصير الشر خيراً والخير شراً، والنفس المقارنة للمرأ أمارة بالسوء أساس كل رذيلة من أدواء القلوب من حب الجاه وانتشار الصيت والشهرة، والإعجاب بالرأى والهوى المتبع، كما وردت الإشارة إلى أدواء النفس فى حديث نبوى كريم: «إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، ودنياً مؤثرةً، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك يعنى بنفسك ودع عنك العوام إلخ» رواه أبو داود من حديث أبى ثعلبة الخشنى.

فهذه الأدواءالباطنة من معضلات أمراض النفوس تفتقر إزالتها إلى مجاهدات طويلة ورياضات شاقة، وإلى صحبة أرباب القلوب الزكية الطاهرة صحبةً طويلةً بإخلاص وعزيمة صادقة، وفوق كل ذلك مشيئة الله الأزلية إذا انعقدت بإصلاح تلك النفوس تتهذب وتتزكى، وإلا تاهت تلك النفوس فى مهاوى الضلال، وضلت فى صحراء الحيرة والحرمان، ومن طالع تاريخ البشر وبحث عن أذكياء العالم وجد أن كثيراً من فتن علمية بدت من جهة الفضلاء والعلماء خاضوا فى تحقيقهم وتدقيقهم وتركوا جادة جماهير الأمة؛ فشذوا فى أفكارهم وآرائهم وتجاوزوا الصواب، والإعجاب بالرأى أكبر فتنة للعالم فى هذا العالم.

فإذا كانت الحالة هذه فى العلماء المحققين أصحاب استبحار فى العلوم، وأرباب ذكاء وتوقد من العقول؛ فكيف بالذين

حرموا من التلقى من أهل الكمال ولم يجدوا من يربيهم ويرشدهم ، ولم يصادفوا من ينبههم ظناً منهم أنهم فى استغناء بمطالعة الأسفار والزبر ، وخصوصاً إذا كان معهم شئ من الذكاء ومقدرة فى البيان ؛ فهؤلاء خابوا وخسروا ودخلوا فى غمرات ، وابتلوا بهفوات وكبوات ، وأصبحوا وسيلةً لإضلال العامة وأتباعهم ، حيث يكون لهم براعة فى الإنشاء ، وإن أقلامهم ترقص فى الميادين فى هزة وهباب ، ويكون لهم مقدرة فائقة فى تحليل الأبحاث وتنقيح الأفكار ، فالعلم وإن كان قاصراً بيد أن القلم يدهش الأفكار ؛ فالعامـــة إذا شاهدوا لهم بعض النفائس فى الأبحاث والأفكار ، وقرءوا لهم ما يعجب الأنظار ، أو القدرة على تحليل المشاكل بالتعبيرات أعجبوا بهم وصاروا مغرمين بآرائهم ، ثم إذا صادفوا أقوالهم منافيـــةً للجماهير طعنوا الجماهير ووجهوا إليهم سهام المطاعن والملاعن ، ورموهم بالغباوة والعمى .

ثم لاسيما إذا قاموا أولئك المتظاهرون بالتحقيق والبراعة فى كل شئ بالطعن على الأوائل والأواخر ورميهم بقصور الإدراك والفهم ، وبتقصير عقولهم عن هذه الحقائق تحزب أتباع هؤلاء لنصرهم والثناء عليهم وجلب كل خيل ورجل لتأييدهم ؛ فيطمُّ البلاء ويشتدُّ الفتنـــة ويبلغ السيل الزبى ؛ فيهلك التابع والمتبوع ، ثم إذا انضم مع هذا كله إن كان ذلك الرجل داهيةً يرى ما وراء الأكمة ، وأولع بحب الزعامة والرئاسة ، واتخذ كتاباتـــه وأبحاثه وسيلةً للدعايـــة والنفوذ فى كل شئ ازداد الأمر غمةً ، وإذن يصدق قول الله عز وجل : « لا عاصم اليوم

من أمر الله إلا من رحم ؛ فيا رب سترك، وهذه ومضات موجزة تنبئ الناظرين عن سحب هطالة .

ومن هذا الصنف الأخير شخصية بارزة أكبر شخصية وهو الأستاذ أبوالأعلى المودودي ، برز فى هذا العصر صاحب تأليفات ومقالات شرقت وغربت ، وسارت بها الركبان إلى كل ناحية من أنحاء الأرض ، وتغلغلت فى بلاد العرب وغرت بـه بلاد وعباد حيث تظاهر بمظاهر من الزعامـة والإمارة وادعاء أنـه الرجل الوحيد فى العالم الذى وقف جهوده "لإقامة دين" و" تجديد دين" و"إحياء دين" و"إقامة حكومة صالحة" تحت ضوء القرآن والسنة ، وكان أسلوب تعبيره جذاباً وخلاباً ، وكانت جهود القوم ضد حكومـــة البريطانية واستيلائها على الهند ، وحدثت معارك فى مقاومة الشعب الهندى والأمة الهندية جمعاء مع الحكومة الغاشمة الظالمة البريطانية ، وكان الشعب الهندى منقسماً إلى طائفتين كبيرتين سياسيتين قد ارتفع صخبهما إلى السماء ؛ فى مثل هذه الظروف السياسية ظهر هذه الشخصية ؛ فمن الطبيعى أن ينال دعوتـه ونداءه إجابةً من جهات شتى وتلبيةً لأفكاره السياسية فى هذا البحر المتلاطم ، ويا ليت لو اكتفى بهذا ولم يدخل فى غمار تفسير القرآن ، ومقالات فى السنـــة ، ورسائل باسم " التفهيمات " و " التنقيحات " ورسائل فى مسائل أخرى لم يكن فيه كفاءة لها ، ولا رسوخ فى علومها ، ولا أهلية لـه فى تلك المسائل .

وكان الملائم أن يقف جهوده فى توحيد كلمة المسلمين وإيقاظهم من غفوتهم ، وأن لايزعج المسلمين فى عقائدهم وأذواقهم ومسائلهم نظراً إلى أهمية الاتحاد وتوحيد الكلمة، وخوفاً من التشتت والافتراق، ويا ليت لو فعل هذا لكان زعيماً سياسياً مقبول الصيت ومسموع الصوت مستجاب القول ناجحاً ظافراً ، ويا حبذا لو كان هذا فحسب ؛ فإن لقلمه السيال وملكته فى الإنشاء باللغة الأردوية ، والمقدرة الفائقة فى حسن التعبير ، واللباقة فى صياغة الأسلوب تأثيراً فى النفوس ، وأخذاً بمجامع القلوب ، ولكن بالأسف الشديد تعرض فى كتاباته إلى النقد بالسلف الصالحين من المفسرين والمحدثين والفقهاء والأئمة المجتهدين والمتكلمين من أقدم العصور إلى اليوم ، وجاء فى أبحاثه مالايستساغ ديناً وعلماً .

ومن بواعث الأسف أن الشيخ المودودى وصل إلى الثانوية من التعليم المدنى ، وتلقى مبادئ الكتب العربية فى بيته ، ثم دخل معهداً بحيدر آباد فيه كان مبادئ التعليم الدينى مع شئ من التعليم المدنى ، وكان والده الكريم محامياً فترك وظيفته وأصيب بالشلل والفالج ، وبقى مريضاً نحو أربع سنوات إلى أن توفاه الله عز وجل ـ غفر له الله ورحمه ـ ولكن الشيخ المودودى فى حياته اضطر إلى معاشه وفى شرخ شبابه قبل إكمال الدراسة ، ومن سوء الصدفة أنه اصطحب كاتباً بارعاً فى اللغة الأردوية وكان من

كبار ملاحدة الكتاب وهو نیاز فتحپوری (١) وقد تأثر إلى حد كبیر من صحبته ، ویقول المودودی فی ما كتب فی حیاتــه ما لفظه بالأردویة :

"ڈیڑھ سال کے تجربات نے یہ سبق دیا کہ دنیا میں عزت کے ساتھ زندگی بسر کرنے کیلئے اپنے پیروں پر آپ کھڑا ہونا ضروری ہے اور معاشی استقلال کیلئے جد وجہد کے بغیر چارہ کار نہیں ، فطرت نے تحریر و انشاء کا ملکہ ودیعت فرمایا تھا عام مطالعے سے اسکو اور تحریک ہوئی ، اسی زمانے میں جناب نیاز فتحپوری سے دوستانہ تعلقات ہوئے اور انکی صحبت بھی وجہ تحریک بنی غرض ان تمام وجوہ سے یہ فیصلہ کیا کہ قلم ہی کو وسیلۂ معاش قرار دینا چاہئے" اھ (٢) -

یقول : قد أثبتت التجارب فی عام ونصف أن قضاء الحیاة بعزة لابد لها أن یستقل المرأ بكسب لمعاشـه مستغنیاً عن الناس ، وأن یجتهد لحیاة طـیبة ، وإن ملكة الإنشاء والمقدرة على التعبیر كانت مودعـة فی طبیعتی ، وقد قویت هذه الملكة بالمطالعات ، وقد حصلت لی الصلة و الصداقة بالأستاذ "نیاز فتـح بوری"

---

(١) وقد آل أمره إلى الخروج عن الدین ، واستهزأ بالجنة والنار ، واتفق علماء الإسلام على خروجه عن الإسلام لكفره الصریح ؛ فتاب وأناب مدةً ثم ارتدّ وأصر على كفره البواح ، والعیاذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(٢) مولانا مودودی (ص - ٢ بـ) اسعد گیلانی .

وصحبته قد حثت عزمى و رغبتى، ونظراً إلى أمثال هذه الأسباب قمت بأمر فصل نهائى بأن أجعل تلك الملكة الإنشائية القلمية وسيلةً لمعيشتى اه ؛ فكشف الستر وصدع بما هو ينويه ، فتقدم إلى الأمام و رافق أخاه السيد أبا الخير المودودى فى تحرير جريدة " مدينة " فى بجنور ، ولكن الظروف السياسية قد اضطرته إلى الانعزال عنها ، و اتصل بإدارة " انجمن اعانت نظر بندان اسلام " وبإدارة جريدة " تاج " الأسبوعية ، يقول: فكنت أكتب فيها إلى أن أصدرت إدارة " جمعية علماء الهند " جريدة " مسلم " تحت إشراف حضرة المفتى محمد كفاية الله و الشيخ مولانا أحمد سعيد الدهلوى المغفور لهما .

ويقول الشيخ المودودى: إن من سنة ١٩١٦ م إلى ١٩٢١ ميلادية قد ضاقت بى الأرض واضطررت إلى جولات فى البلاد، وإلى رحلات فى الأقطار وكنت فى غاية الأسف على أن لم أنتهز فرصةً لإكمال الدراسة ولم أكن أقدر على إزالة هذه البلايا ، إلى أن أقمت بدهلى أشتغل بالكتابات فى جريدة " الجمعية " التى تصدر تحت إشراف " جمعية العلماء بالهند " وكنت أختلس فرصاً لإكمال دراستى وتعلم الكتب المختلفة فى الأدب و المنطق و الحديث و التفسير، ثم رجع الشيخ المودودى إلى " حيدر آباد دكن " وأراد أن يستقل بشئونه للمعاش ، فاشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن أصدر جريدةً شهريةً " ترجمان القرآن " سنة ١٣٥٢هـ ١٩٣٣ م ، ثم وفق لتأسيس إدارة " دار الإسلام " بمساعدة رفقائه الأربع وهم : مولانا

الشيخ محمد منظور النعماني - وكان هو الباعث على الشيخ المودودى أولاً بإقامة هذه الإدارة - والثانى : مولانا الشيخ أبو الحسن الندوى اللكنوى ، والثالث : الشيخ مولانا أمين أحسن الإصلاحى ، والرابع : الشيخ مسعود عالم الندوى ، بمعونة أحد الأثرياء فى "بتهان كوت" سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م إلى أن أسس إدارة باسم "جماعت إسلامى" (الجماعة الإسلامية) سنة ١٣٦٠هـ ١٩٤١ م ؛ لما ظهر بعض تآليفه و نشرت مقالاته بقلمه السيال وإنشائه البليغ أعجب به الناس وأخذوا يثنون على براعته وصياغته ، وظهرت كلمات الثناء والتقدير من أمثال المحقق الفاضل الشيخ مناظر أحسن الكيلانى المغفور له ، وإمام التاريخ الفاضل الشيخ السيد سليمان الندوى المغفور له ، والأستاذ عبد الماجد دريا بادى ، وغيرهم من المشاهير ؛ فأكب الشباب على أبحاثه واعتقدوا فضله ونبله ، واشتهر صيته ، ولكن سرعان ما تنبه أهل العلم وأرباب الفضل والكمال إلى مغامز من ثنايا تحريراته ومقالاته ، وإلى شذوذ فى آرائه وأفكاره ، وتفرس أرباب القلوب الزكية والأفكار النقية إلى عواقب خطرة فى ما يقوله ويجتهد له بالتدابير .

فأول من قام بالرد على كتاباته المحقق الشيخ مناظر أحسن الكيلانى ؛ فكتب فى الرد عليه مقالة فى جريدة "صدق جديد" التى تصدر تحت إشراف عبد الماجد دريا بادى بعنوان "الخارجية الجديدة" ثم تنبه صاحب جريدة "الصدق" فقام بالرد عليه ، ثم السيد سليمان الندوى المغفور له ، ثم شيخ العصر وشيخ الإسلام الشيخ السيد حسين أحمد المدنى شيخ الحديث فى

دارالعلوم بديوبند رحمه الله ، واستقال اثنان من الإمارة من أمرائه الأربع من رفقائه الأربع بعد ستة أشهر - فيما أتذكر - وهما الشيخ النعمانى والشيخ أبو الحسن اللكنوى ، والثالث منهم انزوى بعد برهة من الدهر من بعد ما رأى شيئاً ظهر من عقيدته لا يستطاع وهو الشيخ الإصلاحى ، والرابع قد توفى قبل برهة من الزمان سامحه الله بفضله .

وبالجملة : كان الأساس أنه لم يتلق العلوم الشرعية من أهلها ، ولم يتقن العلوم العربية من أصلها ، ولم يستفد من صحبة أرباب الكمال الراسخين فى العلوم ، تلقى شيئاً من المبادئ وتقدم إلى الأمام بذكائه ومطالعاته ، وكان يختلس فرصةً بين حين وآخر للتلقى . ثم كان الضغث على الإبالة وفاة والده واحتياجه إلى معيشته وقضاء أبان فتوته فى جولات وأسفار ، وخدمات فى الجرائد والمجلات ، فبقى فى البين ، وهو لا يجيد اللغة الإنجليزية كتابةً وقراءةً وخطابةً إلا فهماً بمطالعته حيث لم تتم الدراسة ، وكل ما ترجم من تآليفه إنما هو ترجمة من الآخرين كما هو لايجيد اللغة العربية لاخطابةً ولا كتابةً ولا قراءةً ما عدا فهم ، وكل ما ظهر من تآليفه بالعربية فهو مترجم من الأردوية بقلم الشيخ مسعود عالم الندوى وتلاميذه ، وكل رسائله بالعربية من هذا القبيل وإن كان مكتوباً عليها " تأليف المودودى " دعايةً وادعاءً ، وظن القوم وخصوصاً علماء بلاد العرب والسعودية أنه نفسه ألفه بالعربية الفصحى بالأسلوب الأدبى الرائع المتين ، وأنى لهم

التناوش من مكان بعيد ، ومرةً فى دمشق ألقى مقالته فى اللغة الأردوية، وأمروا الأستاذ أبا الحسن الندوى بترجمته إلى العربية .

هذه نبذة يسيرة من حياته ، وهو زعيم سياسى قبل كل شئ ، كاتب قدير باللغة الأردوية ، له قلم سيال استفاد كثيراً من مشاهير أهل الإنشاء والكتابة ، وأسلوبه فى الإنشاء كان متأثراً من أولئك الأدباء أرباب الأقلام أول أمره ، ثم انتهى إلى أسلوب خاص جيد ، وله ملكة فى تجزئة الأبحاث و تحليل الأفكار ، ألف عدة تأليفات احتوت أبحاثاً رائعةً بيد أن قلمه زاغ وطغى؛ فجاءت فيها أفكار زائغة قرعت الأسماع وأدهشت الأفكار؛ فكان فى أكابر علماء الأمة شيخ العصر مولانا السيد حسين أحمد المدنى أول من تفطن وتفرس العواقب الوخيمة الخطرة قبل كل أحد فى آرائه الزائغة ، ثم قام غير واحد من العلماء على الرد على أفكاره ومعتقداته ، ولكن كانت هذه الردود لأجل عدم إجادة الأسلوب أو عدم استيفاء البحث أو اختلط فيها الحابل بالنابل فلم يتميز هناك الأهم من غير الأهم فلم تقع من العامة موضع القبول ، ولكن الردود لا تزال مستمرةً بين حين وآخر ، و سكتُ أنا مدةً طويلةً نحو ثلث القرن وطالما تجرعنا غصصاً حينما يظهر شئ من هفواته الزائغة .

ولم تمض علىّ ساعة واحدة فى الموافقة على ما زاغ من تفكيره بيد أنى آثرت السكوت لبعض المصالح الدينية حيث إن كتاباته كانت تنفع الجيل الجديد ، والناشئة الحديثة التى

كانت وصلت إلى الإلحاد أو كادت ، وكانت أوقع شئ فى كبح شكيمتهم وإلجامهم، ثم من أعضاء جماعته وأركان إدارته بدت أشياء نافعة للمسلمين ، فعلى الرغم من عدم موافقتى مع آرائه آثرت السكوت ولم أحب أن أجرحه جرحاً ينحرف الجيل الجديد ويتنفر ، ولكن من عدة أعوام كانت الوجوه متجاذبةً فى النقد والبحث وإبداء زيغه وضلاله إلى أن طال السكوت ووصلت الحال إلى أن السكوت عن الإظهار يكون ذنباً لايغفر وجريمةً لاتنكر ، وقد حان أن أنبه القوم بعد السبر والنخل لأفكاره وآرائه بما يقتضى الحق منا بإحقاق الحق وإبطال الباطل من غير مواربة ومداهنة ، فإن الفريضة قد حقت على ذمة الأمة من صيانة سياج الدين عن كل إلحاد وتحريف ؛ والمسئولية على أكتافها تستدعى الفراغ عن هذه الوظيفة .

ولاشك أن فى تأليفاتــه بعض الفوائد من تسديد الجيل الجديد ، وإن تحرير المقاصد بأسلوبه المؤثر كان نافعاً من هذه الناحية ، بيد أن البلية قد طمت ، والأمر قد تفاقم ، واتسع الخرق ، وأدركنا أن الإثم أكبر من النفع ، والضرر أشدُّ من الفائدة ، والشر أغلب من الخير ، وكم كنت أتمنى أن يقوم بهذا الأمر من هو أحق به وأهله ، ومن عرفه الناس وسارت بفضله الركبان ، وتآليفه قد شرقت وغربت ، ويكون قيام مثله للذب عن الدين أنفع وأنجع وقدماً قيل فى المثل السائر : أعط القوس باريها ، وهما رجلان أعلم الناس بدخائله ، وأقرب لتلبية القوم على ندائها ؛ فالمسئولية على أكتافهما كان أكثر من كل أحد ، وبكل الأسف أقول : قد انتظرت

قيامها برهةً من الدهر طويلةً ولكن خاب الرجاء وانقطع الأمل وحق لى أن أتمثل بأبيات صحابى جليل :

خليلى غضا ساعــةً وتهجرا
ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا
ولا خير فى حلم إذا لم تكن لــه
بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن لـه
حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فاضطررنا إلى القيام بهذا الأمر ، وتحتم علينا هذا الفرض ، حيث إن محبــة الإيمان وما يقتضيه الإيمان أشد وأقوى من كل محبة ، ومن محبة رجل أرداه قلمه وتفكيره فى مهاو بعيدة عن الحق ، والذب عن الدين أعنى وأهم من كل شئ ، والكلام كان شاقاً علىَّ ، والحديث عن النقد عليه كان عزيزاً علىَّ ، وأنا أدرى أنى عسى أن يكون نفسى دريئةً للمطاعن ، وهدفاً لكل ملام ، وغرضاً للسهام ، ولا سيما من الذين غرهم سمته ، ويظنون أن شخصية المودودى شخصيــة فذة قام بخدمــة لاتبارى ولا تجارى ، مثل أعضاء " رابطـــة العالم الإسلامى " ومشايخ نجد والرياض بالمملكـــة العربية السعوديــة ، وكثير من الناس فى البلاد العربية أصبحوا مغرمين به حباً للإسلام وخدمته .

وأنا أدرى أن علماء المملكة العربية السعودية لوعلموا ما فى تأليفاتــه بالأردويــة من الطامات ، والبعد عن الحق ، والطعن

على الصحابـة ، والحط عن الخليفـة الراشد سيدنا عثمان ، والتحريف فى مصطلحات الشريعة وآيات القرآن ، والازدراء بالسلف الصالحين من الأولين والآخرين ، لوعرفوا ذلك لكانوا أول الناس براءةً من إجلاله وتوقيره ، وأول الناس إنكاراً على عقائده حيث عرفناهم منقادين للحق بكل صراحة من غير مراوغة ومواربة ، وأشد الناس شكيمةً عن كبح جماح الضلال والزيغ ، وأعمل الناس بالسنة ، وأترك الناس للمنكرات والبدع ، وأنا أدرى أنه غرهم سمته ، وحسبوا بادعائه ودعايته أنه الرجل الوحيد فى باكستان الداعى إلى إحياء الدين وتجديده ، وأنه القائم بالجهود إلى إقامـة حكومة صالحة فى باكستان ، وأنـه الرجل المظلوم فى هذه البلاد ، قاسى آلاماً للدين ، وله مفاخر لايدانيـه فيها أحد ، ولا خبرة لهؤلاء بما فى رسائله مـن طامات وخرافات حيث لم تترجم هذه الأشياء إلى العربية ولم تصل إليهم ، وإنما ترجم من كتبه وأبحاثه ما جعله مقرباً لديهم ومحترماً عندهم ، كما أنه ليس لهم علم بما فى باطنـه من حب الزعامـة والرئاسة وما فى طبيعته من الكبر ، والغيب لايعلمه إلا الله ، ويوشك أن لو علموا لتبرءوا كل البراءة كما جربنا من سجاياهم الفطرية الجنوح إلى الحق فى معرض الخصام والرغبة إلى الصواب .

وكم رأينا رجالا كانوا مقربين لديهم بعلومهم وبأقلامهم ثم لما ظهر منهم بعدهم عن الصواب وغلوهم فى بعض الأمور ، وخروجهم عن الجادة القويمـة تبرءوا منهم فجزاهم الله خيراً ،

وذلك مثل القصيمى صاحب " الصراع " والناصر الألبانى مدرس جامعة المدينة .

فالمرجو منهم أن يعودوا نظرةً فى المودودى ، ويفكروا فى تلك الآراء الطائشة الخارجة عن الدين ، والله يقول الحق ويهدى السبيل ، والله يشهد أنى قمت بهذا الأمر ابتغاءً لوجه الله تعالى بتوفيقه لا حباً للثناء والتقدير ، ولا خوفاً من الملام والازدراء والتحقير ، وأتمثل بقول سيدنا خبيب رضى الله عنه :

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

وكما قال أبو العلاء المعرى فى لزوم ما لا يلزم :

ونرجو من الله الثواب مجازياً وله علينا فى القديم تسلف

وفضيلة المحدث الكبير مولانا الشيخ محمد زكريا الملقب بشيخ الحديث قبل أكثر من عشرين سنةً كتب خطاباً إلى بعض علماء مدرسته وهو الشيخ محمد زكريا القدوسى لما جنح إلى آراء الشيخ المودودى وتأثر بأفكاره ، كتب إليه كتاباً ينبهه على زيغ وضلال نصيحةً له وإرشاداً ، وقد ألف أيضاً جزءاً مستقلاً جمع فيه آراءه البعيدة عن الصواب ، وبالأسف أنه لم يطبع وطبع هذا الخطاب بالأردوية وقد ترجمه إلى اللغة العربية مع تخريج أحاديثه أخونا فى الله فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرزاق اسكندر الهزاروى الباكستانى ؛ فنقدم إلى الأمة هذا الخطاب المطبوع المترجم المشير إلى شئ من أفكاره وما ينتج من زيغ وضلال ، والكتاب بين

أيدى الناظرين أمام القارئين لاحاجة إلى نقل شئ منه ؛ وإنما أقدم للناظرين عدة نماذج من زيغه المبين، وقد دعت الحال إلى أن أنادى على رءوس الأشهاد أن الرجل زائغ ، ضال ، مضل ، فى كتبه ورسائله طامات، منها : ما يوجب الفسق، ومنها: ما يوجب الابتداع فى الدين ، ومنها: ما يوجب الإلحاد ، ومنها : ما يوجب ما أسكت عنه ، وفى بعضها دلالة على جهله بالدين وغباوته على اليقين ، وتضارب وتهافت فى بياناته وكتاباته ، وتجهيل للسلف الصالحين من أقدم العصور إلى يومنا هذا ؛ فهذا الطعن جهود السلف الصالحين والمؤاخذة عليهم يدل على إعجاب فى رأيه ما لايتحمل ، وكبر له فى سجيته ما لا يستساغ ، وسنفرد كتاباً خاصاً فى الموضوع جامعاً لأفكاره الزائغة بكل تفصيل ، وهذه التقدمة لاتحتمل غير عدة نماذج ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيق إلابالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

شیء من أفكاره

الله ، والرب ، والعبادة ، والدين فى نظره

١ - يقول المودودى فى مقدمة كتابه " قرآن کی چار بنیادی اصطلاحين " - أى أربعة مصطلحات القرآن الأساسية - ما ترجمته إلى العربية : الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، أربعة مصطلحات أساسية للقرآن ، من عرفها عرف القرآن ومن لم يعرفها لم يعرف القرآن ، ولم يعرف التوحيد ، ولم يعرف الشرك ولم يعرف أن العبادة لله وحده ، فمن خفيت عليه هذه المصطلحات خفى عليه فهم القرآن وإن كان مؤمناً ، وعلى الرغم من كونه مؤمناً يكون ناقص العقيدة والعمل (١) ثم يدعى : وقد وقع تغير فى معانى هذه المصطلحات عن فهمها فى عهد النزول ، وانحازت هذه المعانى الوسيعة إلى معان ضيقة محدودة مبهمة ، وذلك لأمرين : ١- لقلة ذوق العربية . ٢- ولكون المسلمين ولدوا فى الإسلام ، فلم يعرفوا تلك المعانى المستعملة فى الكفار فى عهد نزول القرآن فخفيت على أئمة اللغة وأرباب التفسير تلك المصطلحات بمعانيها المستعملة فى عهد النزول ، وفهم هؤلاء ما كان يفهمه المسلمون . (٢)

---

(١) ص - ١٠ (٢) ص - ١٢

ثم يدعي ويقول : والواقع أنه لخفاء هذه المعاني خفي على الناس ثلاثة أرباع الدين ، بل خفيت عليهم روح الإسلام الحقيقية ، ومن أجل ذلك ترى نقصاً في عقائدهم وأعمالهم (١) فهذه ترجمة عبارته بكل أمانة و ديانة . وفي ختام رسالته في (ص - ١٥٦) يقول : إن الله سبحانه أمره ﷺ في سورة النصر بأن يستغفر ربه ما صدر منه في أداء الفرائض (أي فرائض نبوته) من تقصيرات و نقائص ، و لفظه بالأردوية :

> اور اس ذات سے درخواست کرو کہ مالک : اس ۲۳ سال کے زمانہ خدمت میں اپنے فرائض ادا کرنے میں جو خامیاں اور کوتاهیاں مجھ سے سرزد ہوگئی ہوں انہیں معاف فرمادے -

الانتقاد والمؤاخذة : استبان من كلامه أن اللغويين والمفسرين لم يعرفوا معاني هذه الأسماء المرادة عند الله، ولم يستثن أحداً منهم، ولا ريب أن مثل هذه الدعوى العريضة بأنه لم يفهمها أحد إلا الأستاذ المودودي ، ومن العجيب المدهش أن المودودي لما أخذ يشرحها اضطرّ في شرحها إلى أئمة اللغة من القرون المتوسطة كابن الأثير الجزري، وابن منظور الإفريقي ، والفيروز آبادي من "النهاية" و"اللسان" و"القاموس" دون أن يبلغ شأوه إلى قدماء أهل اللغة كأبي عبيدة ، وأبي عبيد وأبي حنيفة الدينوري ، وابن قتيبة ، وغيرهم ممن بعدهم من الأزهري ، والجوهري ، فكيف

(١) ص - ١٤

استقام للمودودى أن يأخذ شرحها وبيانها ومعانيها الحقيقية والمجازية من هؤلاء الذين لم يعرفوا معانيها المرادة عند العرب حيث ولدوا مسلمين فى بيوت المسلمين .

ومثل هذه الدعوى العريضة فتح لباب كل زيغ وضلال ، يرتفع الأمان عن أرباب اللغة والمفسرين طوال هذه القرون ، وفتح للتأويل فى القرآن بما يفهمه العقل والإدراك كيف ما شاء دون أن يستشهد و يحتج بأئمة اللغة وأرباب التفسير ؛ فانظر يا رعاك الله شئ لم يعرفه محمد بن جرير الطبرى إلى ما بعده ، ولا الجرجانى، ولا الزمخشرى ، ولا ابن تيمية ، ولا ابن القيم، ولا ابن كثير ، ولا من قبلهم ولا من بعدهم ، والمودودى الذى قام بفهمه بعد هذه الفترة الطويلة من القرون الأربعة عشرة ، وكانت هذه الفجوة البعيدة للجهل بمعانيها ، ومن هذه الكلمات الأربع : الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين .

هل يكون جهل فاضح من هذا لم يعرفه أحد من العرب ولا من العجم من اللغويين والمفسرين والمحدثين وأرباب البلاغة وأئمة العربية من أقدم العصور إلى اليوم وإنما فهمها رجل عجمى لايجيد اللغة العربية لانطقاً ولا كتابةً ولا يكاد يفهمها إلا بشق النفس بمعونة التراجم الأردوية ؛ فعباد اللات والعزى عرفوا معانى الإله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، والأمة المسلمة جمعاء مع تلقيهم علوم النبوة طبقةً بعد طبقة تجهل معانيها ؛ فهل رأيت يا سبحان الله ! كلاماً أبعد عن العقول من هذه الدعوى؟!

شئ يعرفـه الكفار فى جاهليتهم ولا يعرفـه المسلمون فى عهد الإسلام على الرغم من كونـه ﷺ يعلمهم الكتاب والحكمة ، فكأنـه لم يفهمه النبى ﷺ أو لم يعلمهم ، وإذا علمهم انقطع هذا الفهم إلى قرون ، لما ذا هذه الدعاوى العريضة الطويلة ؟! نعم لحاجة فى النفس ولمرض فى القلب يدعى ذلك لكى يتمكن من تأويل وتحريف فى معانيها ، وكل ذلك تمهيد لما بثه فى كتبه ورسائله من تأويلات وتحريفات يتسنى له بها ما يحاول ، فجعل فى كتبه العبادة كل ما فى الـدين من معاملات وعقود وعهود وشئون الـدنيا والإدارة ونظام الحياة كلها جعلها عبادةً وهو يصرح بأن العبادة ليست منحصرة فى الصلاة والزكاة والصوم والحج وليس بها نجاة ما لم تكن معها مـا يدعى من بقية شئون الحياة حتى ادعى أن هذه العبادات ليست مقاصد فى الإسلام ، وإنما هى وسيلة للحصول على السلطة والاقتدار على الحكومة وتأسيس دولـة ، فيستنتج من هذا أن الحكومة إذا حصلت انتهى الغرض من تلك الوسائل، فلا لزوم إذن لهذه العبادات الأربع خصوصاً ، وستعرف إن شاء الله تعالى تلك العبارات فى خطاب الشيخ محمد زكريا شيخ الحديث - طالت حياته النافعة - ما ينشر قريباً وتكون هذه الكلمة تقدمةً لخطابه .

فهل رأيت ضلالاً وزيغاً أبين من هـذا ، ولكن أكثر ذلك فى كتبه وكتاباته كدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء الملساء ، يعبر عنها بأسلوب قلما يتنبه له أحد، ولا ريب أن العصر عصر الفتن العمياء كما جاء فى حديث الصحيحين فى حق رجل:

« ما أعقله وما أظرفه وما فى قلبه من حبة من خردل من إيمان » والعياذ بالله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، و إذا كان الرسول عليه الصلاة والتسليمات خاتم النبيين ، و الأمة المرجومة خاتم الأمم وقد قال ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى قائمين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » كما رواه البخارى من حديث معاوية ، وكما فى حديث رواه البيهقى فى بعض كتبه : « يحمل هـذا الدين من كل خلف عدوله إلخ » فهل من الممكن أن يخفى أساس الـدين الإسلامى على أحد ويتمكن كل مضل مما يشاء ؟ كلا ثم كلا ، الدين محفوظ ، وتعليمات سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه محفوظة ، والحقائق الشرعية محفوظة معمولة واضحة علماً وعملاً لا يحول دونها ريب ولا شبهة .

والحاصل : أن هذه الأسماء إذا لم يعرف أحد معانيها غيره فله ما يشاء من تأويل وتحريف ويفتح له باب التأويل بمصراعيه ، ويتمكن من تجهيل الأمة الإسلامية علمائها ومحدثيها و فقهائها قاطبةً ، وعسى أن يكون فى هـذا التنبيه مقنع وكفاية فى نتيجة بحثه وتحقيقه ، والله المستعان .

ثم إن من العجيب أن ما قاله فى خاتمة الرسالة : إنه أمر بالاستغفار لتقصيره فى فرائض النبوة ، أين ذلك الـذكر من التقصير وعدم القيام بالواجب ، فكأنـه يفهم أنه لا استغفار إلا من أجل الذنب وأنـه كان مذنباً ومقصراً فى أداء الوظيفة ،

ولايدرى المسكين أن هناك عامل لاستغفاره ، فهو ﷺ كان إذا سلم وفرغ من صلاتــه يقول : « أستغفر الله ، أستغفر الله » فهل الصلاة كان ذنباً كان يستغفر ربــه عنها ؟ وبعد الخروج عن المرحاض كان يقول : « غفرانك » فهل كان عصنا ربه فاستغفره؟ وما إلى ذلك من الأمور ، أليس الله سبحانه أعلن فى سورة الفتح إعلاناً عاماً بقوله : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » فهكذا رفع الله سبحانه قدره وأتمّ عليه نعمته ، واتفقت الأمــة جمعاء على كون النبى معصوماً ، وإنما الاستغفار فى أمثال هذا نظراً إلى شدة معرفته بالله ومعرفته لكبريائه تعالى وقصور حمده عن جلاله وكبريائه يستغفر للتقصير كما فى حديث "مسلم" فى دعاء السجود : « لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فليس هناك ذنب ولا معصية ، ولا تقصير ولا زلة ؛ فأين التقصير فى أداء فريضة النبوة ؟ وأين النقص فى القيام بأعباء النبوة ؟ فالمودودى كأنه بالمرصاد ينتهز فرصةً لما فى قلبه ومعتقده أن الأنبياء كلهم خطاءون مــذنبون ، وأن العصمة ليست دائمة مستمرة ، فيظهر من قلمه ويقطر ما فى قلبه ذلك الذى يعتقده ، وإن الإناء يترشح بما فيــه ، وسيتضح هذه الأمور فيما سيأتى عليك بيانه .

وإنما يتفوه المودودى فى كتاباته بين حين وآخر بتقصيره ﷺ أو بتقصير غيره مــن الأنبياء ليست هذه زلــة قلم وإنما هو شئ رسخ فى قلبــه كعقيدة ، وأصبح أصلا من أصولــه الموضوعة ، وبمثله يكون قدحاً فى منصب النبوة يتزعزع به

أساس الدين ؛ فهو يعتقد أنه بشر كسائر البشر يخطئ ويصيب ، يطيع ويعصى ، ولا يكون هو معصوماً ، ومن طالع كتبه ومقالاته وأبحاثه وقف على ذلك من ثناياها بثلج صدر وشفاء قلب ؛ فهو غير معصوم ، والصحابة بقي فيهم شيءٌ من أمراض الجاهلية لم يتزكوا ، فإذن يرتفع الأمان من الدين فعمن نأخذ الدين ؟ إنا لله وإنا إليه راجعون .

وكل يدعى وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

وواحد من جماعته معروف بالعلم وهو المفتي محمد يوسف من سكان بنير من مضافاة " سوات " كتب إلى مرةً رداً على مقالة لى نشرت فى مجلة " بينات " بأن القرآن مملو بأن الأنبياء كلهم عصاة مذنبون ، وأنت تدعى لهم العصمة ! إنا لله ؛ فيعلم من ذلك أن هؤلاء الجماعة معتقدهم ذلك ورثوه من أميرهم ورئيسهم .

أصول الإسلام تتغير عند المصلحة

٢- يقول الأستاذ المودودى ما ملخصه : " إن أصول الإسلام قسمان : قسم لا يدخله التغير ولا التعديل كالتوحيد والرسالة ، وقسم يدخله التغير إذا ما اقتضته المصالح " ، ثم يمثله المودودى بقوله : إن الله سبحانه يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » يقول : هذا أصل من أصول الدين العدل بين الأفراد والشعوب ، والقضاء على كل تفرقة عنصرية من النسب

والقبيلة ، والكرم والتفاضل بالتقوى بينه تعالى وعمل به سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، أعلن به الرسول غير مرة ، وعمل بـه حيث ولى العبيد والموالى مناصباً مـن الإمارة ، واجتهد لإقامة هذا النظام ولكن سرعان ما ترك هذه القاعدة الأساسية لما حان إقامة نظام المملكة وقال : « الأئمة من قريش »" هذا ترجمة عبارته التى حكاه الأستاذ محمد أشرف المحترم فى مجلته " المنبر " ٢١ يناير ١٩٥٨ م حينما أطال النقد عـلى هذه الفكرة الخاطئة .

ويقول المودودى : إن العرب ما كانت تتحمل أن تكون خلافـة ورئاسة لعجمى بل ما كانت تتحمل أن يسلط عليها غير قرشى ؛ فترك العمل سيدنا الرسول بما أفـاده القرآن من أصل أساسى فى المساواة ، ومنع أصحابه عن ذلك لأجل إقامة الدين ، إلى آخر ما قال وأطال فى ترجمانه تحت عنوان " موقف الجماعة الإسلامية " .

الانتقاد والمؤاخذة : هـذه فكرة خاطئة إلى الغاية بلغت غايتها فى الضلال والزيغ لا يبررهـا أى تأويل تغنى عن القيام بالرد والنقد ، حيث إن شناعتها قـد وضحت كصديع الفجر لايحتاج إلى إقامة دليل وبرهان ، فكل عبادة ودين من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج وغيرها وإن كانـت مقاصـد أساسية للإسلام ولكنها تتغير وتتبدل إذا اقتضته مصالح نظام المملكة ويسميه هو : "الحكمة العملية" تدخل فى كل شئ من أصول الدين

الشرعية ؛ انظر يا رعاك الله ! هل رأيت ضلالاً صراحاً وزيغاً بواحاً أبين من هذا ؟ والأستاذ المودودى استمسك بهذه الفكرة المخترعة فى نظام " الجماعة الإسلامية " حينما كانت الانتخابات والترشيحات للمجلس النيابى ورئاستها لدولة باكستان ، فقامت السيدة فاطمة جناح فى مقاومـــة السيد أيوب الرئيس المرحوم لحكومة باكستان .

فقام المودودى وجماعته لتأييد السيدة فاطمة بكل ما أعطاه الله من حول وطول ،وادعى أن صفات الرئاسة وخصائص الولاية كلها موفورة فيها حين أن أيوب محروم عن كلها ، فهى السيدة تستحق أن تكون رئيسةً للمملكة ، فاعترضه العلماء والشعب بأن المرأة ليس فيها كفاءة للرئاسة بأصول الإسلام ولايمكن أن تكون رئيسةً ، فاستمسك بتلك القاعدة الأساسية التى أصبح عليها اليوم مداراً للجماعة بأن تلك الضابطة من أصول الإسلام التى يلحقها التغيير والتعديل وليس مثل التوحيد والرسالة .

وطال بعقيدته هذه شغب كثير وبحوث واسعة فى الجرائد والمجلات والمحافل والمؤتمرات ، وارتفع صخبها إلى السماء بكل واد وناد ،وقد استقال منصبه فى الجماعة بهذه الفكرة الأستاذ أمين أحسن الإصلاحى سنة ١٩٥٧ م الذى كان أتبع له من ظله ، وهو الذى قوى أزره فى الجماعة ، والذى حبر وصوّر كثيراً مـــن أفكاره ، ودافع عنه بكل ما أمكن له ،بيد أنه لم يستطع أن يبقى معه بعد هذا ، ولم يمكن له أن يتجرع هذه الغصة وأن يستسيغها ،

ففارقه فى حسرة وندامة بأنه أضاع قوته وشبابه وبراعته وهمته مع هذا الرجل الزائغ .

عصمة الانبياء غير مستمرة

٣ـ قال الأستاذ المودودى : العصمة للأنبياء ليست من لوازم ذواتهم ولكن الله تعالى يحفظهم من الخطايا والزلات لأجل قيامهم بفرائض النبوة ، ولو رفع الله منهم هذه الحفاظة لساعة لكانوا مثل عامة الناس فى الخطأ والزلات ... ومن لطيف التدبير أن الله يرفع أحياناً منهم هذه الخاصية لكى يصدر عنهم بعض الزلات، ويريد الله ذلك منهم لكى يظهر أنهم بشر وليسوا آلهة" (ترجمة كلامه فى التفهيمات (ص-٥٧) الجزء الثانى، الطبعة الثالثة)

الانتقاد والمؤاخذة : عصمـــة الأنبياء فى أمور النبوة كلمة اتفاق بين الأمة ، ورفع العصمة عنهم فى بعض الأحيان فى غاية الخطر حيث إن ذلك الوقت غير متعين ، ففساد هذه النكتة واضح ويجر إلى مفاسد فى شأن النبوة ، فلقائل أن يقول فى كل شئ : إنه ﷺ فعل ذلك فى ذلك الوقت الذى رفعت عصمته ، فإذن يرتفع الأمان عن النبوة ، والذى قاله علماء الأمة : إن النبى ﷺ تارة يجتهد فإذا أخطأ فى اجتهاده نزل تنبيه من الله عزّ وجل على وقوع الخطأ ، وإذا لم ينزل الوحى علم أنه وافق الأمر الإلهى على اجتهاده وكان مصيباً فيه، فأين ذلك مما يقوله الأستاذ المودودى ؟ والأستاذ المودودى يصرح بأن الأنبياء ليسوا بمحفوظين عن شر النفس ، وإن داود عليه السلام كان خاطئاً ، وإن يونس عليه

السلام وقع منه تقصير فى أداء فريضة النبوة ، وإن موسى عليه السلام كان عجولاً ، وإن آدم عليه السلام وقع فى هوة المعصية لأجل غلبة الحرص عليه ، وما إلى ذلك من هفوات مبثوثة فى تأليفاته وكتاباته .

ثم إن ما يقوله لإظهار أنهم بشر وليسوا بآلهة أليس يكفى أنهم يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ؟ أليس يأتى عليهم الفناء والموت وأن الله سبحانه حى لايموت ، فكيف إن أكلهم وشربهم والموت وما إلى ذلك من صفات البشرية أليس يدل ذلك على أنهم بشر و ليسوا بآلهة ؟ وهل يفتقر إلى أظهار بشريتهم أن يذنبوا وأن يعصوا ، وأن تقع منهم زلات وتقصيرات ؟ ما لهذا الفهم الخاطئ الضال ! !

أصل الدين فى نظره اقامة الخلافة و الحكومة

٤ - يقول المودودى فى "خطباته" (ص-٢٢٧) ما ترجمته : إن هذه العبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج فرضها الله عليكم وجعلها من أركان الإسلام ، شأنها ليست كعبادات المذاهب الأخرى ، إذا قمتم بها فرغت ذمتكم و رضى الله بها عنكم ، بل فرضت هذه العبادات إعداداً لمقصد عظيم وأمر جليل ، إلى أن قال : وبالاختصار والتلخيص يقال : إن الغرض أن يخرج المرأ من سلطة الإنسان ، ويدخل تحت سلطان الله الأحد ، والجهاد

هو بذل النفس والجهد التام لهذا الغرض، والصلاة والصيام والحج والزكاة للإعداد لهذا الغرض الوحيد اه .

الانتقاد والمؤاخذة : تدل هذه الفكرة على أن العبادات ليست من مقاصد الدين الإسلامى ، وإنما الغرض منها هو حصول النظام الشرعى أى الخلافة الإسلامية ، وشرعت هذه العبادات للحصول على السلطة والاقتدار ، والمقصد من الإسلام إقامة هذا النظام، وهذا قلب للحقائق الإسلامية والشرائع الإلهية ، وخروج عن الصراط المستقيم ، فالحكومة الإسلامية أو النظام الصالح وسيلة لأداء الفرائض والواجبات الشرعية ، فإقامة العدل والتفرغ للعبادة إنما يحصل بهذه السلطة ، فالسلطة مطلوبة لإقامة الدين وأداء العبادات ؛ فالعبادة مقصودة من أكبر مقاصد الدين ، والخلافة والحكومة وسيلة للحصول على هذا المقصود، والله سبحانه وتعالى يقول : «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» (سورة الحج - ٤١) فجعل الله سبحانه هذه العبادات غايةً للحكومة والسلطة ، فانظر كيف عكس الأمر وقلب فجعل المقصد وسيلةً والوسيلة مقصداً ، وهذا فضلاً عن كونه قلب الحقائق الشرعية وسيلة لكل زيغ وضلال ، فإذا حصلت السلطة و حصل المقصد فما ذا تنفع الوسيلة وأىّ لزوم لإبقاء الوسائل بعد حصول المقاصد ؟

وبالغ فى تحريراته وكتاباته تأييدً لهذا الهدف المنشود ما لايترك مجالاً للتأويل، فيقول فى كتاب " روئے داد " (أى مرآة

الجماعة وأعمالها) : إن المقصد الحقيقى من الدين هو الإمارة الصالحة ، وصرح فيه : وليس هناك أى عمل موصل إلى رضائه تعالى بعد الغفلة عن هذا الغرض ، وذكر هناك : وحصول هذا الغرض يتوقف على قوة اجتماعية ، فمن أخلّ بها ارتكب جريمةً عظيمةً لايمحوها الإقرار بالتوحيد و إقامة الصلاة ؛ فهكذا يدندن حول هذا الموضوع بأساليب شتّى ما لا يدع مساغاً للتأويل فى أن الغرض من الدين هذه الأمور السياسية من نظام الحكومة ، ومن دونها لا يقبل صلاة ولاصيام ولاعبادة ولاتوحيد ، وأرى أن أول من تنبه له فقام بالرد عليه هو الأستاذ عبد الماجد دريا بادى فى مجلته المعروفة " صدق جديد " .

ومثل هذه القواعد الأساسية للجماعة الإسلامية وحدها يكفى لأن يفتح عيون الناس وينور بصائرهم فى المودودى وأفكاره ، ولكن بكل أسف شديد أقول : حبك الشئ يعمى ويصم ؛ « فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » صدق الله العظيم ؛ فقد فرّط فى ما بنى عليه الإسلام من العبادات كما أفرط فى إقامة الحكومة ؛ فهل مثل هذا يعبر به عن تجديد الدين ، وإحياء الدين ، هذا تجديد أوهدم للدين ؟! وهل هذا إحياء للدين أم إماتة للدين ؟ ! فرحم الله من أنصف ولم يتعسف .

الهدى والدين فى نظر المودودى

٥- يقول فى كتابه : " سياسى كشمكش " فى الجزء الثالث (ص - ٩٣) مفسراً قوله تعالى : « هو الذى أرسل رسوله

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » يقول : المراد من الهدى فى الآيـة : أن يعيش المرأ فى الدنيا فى نظام صالح للفرد ، والعشيرة ، والبيئة ، والمعاش، وتدبير الملك ، والحكمـة العملية فى السياسة ، والعلاقات العالمية الدولية ، أى جميع نواحى حياة المرأ كيف يعيش فيها ، هذا هو الهدى الذى أرسل الله رسوله به .

يقول : والمراد من الدين : معناه قريب مما يعبر به اليوم " استيت " (STATE) بأن يدين الناس للسلطة العليا ، و" دين الحق " أن تكون هذه السلطـة لله وحده دون أن يكون للغير فيها شأن ، فالرسول مأمور بنظام للملكـة يكون فيها الحاكم هو الله وحده ، هذه ترجمة عبارته بغاية الأمانة .

الانتقاد والمؤاخذة : غير خاف على أحد من له أدنى إلمام بالدين أن الدين عبارة عن مجموعة من العقائد الدينية ، والعبادات الشرعية ، والأحكام التكليفية ، والأخلاق المرضية ، فهناك عبادات وعقائد وأعمال وأخلاق يشملها كلمة الدين ، وهذا هو الذى يصرح به القرآن الكريم وأحاديث النبى الكريم عليه صلوات الله وسلامه ، وإليه الإشارة فى قوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » وفى قوله تعالى : « ورضيت لكم الإسلام ديناً » فدين الإسلام جامع لسائر العقائد ، والعبادات ، والأحكام ، والأخلاق ، والمعاملات الفرديـة والاجتماعيـة والوطنية ، فما يتعلق بالمسائل الاجتماعية أو الوطنية أو العالمية

الدولية تدخل تحت السياسة الشرعية ، فهى جزء من الدين لا أنه هو الدين كله ، فتفسير الدين بالحكومة أو الدولة وبالإنجليزية : " استيت " (STATE) فحسب بدعة وضلال وخروج عن الحق وعن الصراط السوى لا يرضى به الدين ولا أرباب الدين .

وقد أسلفت فيما تقدم من النقد بأن ما قاله بأن القوم لايدرون معانى الإله والرب والعبادة والدين فكل ذلك كان تمهيداً لأمثال هذه التحريفات البعيدة عن روح الدين ، وهو يتفاخر ويتباهى بأمثال هذه الخرافات « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » فإذا كان الجيل الجديد أمامهم أمثال هذه الكتابات قل لى بالله ما ذا يفهمون الدين ؟ بل يشجعهم أمثال ذلك على الخروج من العبادات والطاعات ، وعلى الحث من إقامة دولة سياسية وحكومة دنيوية وإن كان يلبس على الناس بتسميتها حكومةً صالحةً ، وأين الصلاح من غير التقوى والاجتناب عن الحرام و المنكرات ؟ فما ذا تنفع تلك الألفاظ الهائلة من إقامة الدين وتجديد الدين وإصلاح الأمة وإقامة المعروفات وترك المنكرات ، أسماء فارغة ما لها من حقيقة .

وهذا يدلنا على أن الرجل سياسى داهية يجتهد أن يكون زعيماً للمملكة ، ولكن الزعامة فى مثل شعب پاكستانى متصلب فى الدين لايتم إلا باسم الدين ، ولو فرضنا أن نيته صالحة وهو حاول الإصلاح ويكون هو مخلصاً فى نيته وطويته ، يمكن أن يكون ذلك ولكنه لعدم استفادته من أهل الفضل والتقوى والعلم

والدين ولعدم حصول علوم النبوة على طريقة أهلها سقط فى مهاوى من الضلال والزيغ ، وأصبح نهضته ثم جماعته التى تربت على هذه الأصول والقواعد وسيلةً لكل إلحاد وزندقة ، ومن الممكن أن ينجو هو نفسه من هذه الموبقات ولكن أتباعه المغرمين برسائله غير ممكن أن يخرجوا من هذه المخزيات المرديات حيث انتهج لهم منهجاً يبلغ بهم إلى الضلال ، وخطّ لهم خطةً توصلهم إلى النار ، والعياذ بالله .

قوله فى بيت الله الحرام وساكنيه

٦ - يقول المودودى فى "ترجمان القرآن" (ج - ٢٨ ص - ١٧٣) طبع سنة ١٣٦٥ هـ : البقعة التى كانت استنارت بأنوارها الدنيا ، وصلت اليوم إلى عهد الجاهلية التى كانت قبل الإسلام ، فلا ترى هناك علماً ولا خلقاً ولا حياةً إسلاميةً يفد إليها الناس من بلاد بعيدة آخذين فى قلوبهم عقيدةً إسلاميةً ولكن إذا ما وصلوا وشاهدوا هناك جهلاً وطمعاً و وقاحةً ونقذراً وخلقاً سيئاً وسوء نظام الإدارة وحب الدنيا وانحطاط عامة الساكنين عن المروأة والإنسانية ، فكل ما حسبوه وظنوا أصبح هباءً منثوراً ، فطاح ما زعموا ، ورجعوا إلى بلادهم بـدل أن يزدادوا إيماناً وقد أضاعوا ما عندهم .

ويقول صراحةً : إن السدانة والحجبة التى كانت من عهد سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام وبعده من عهد الجاهلية كانت بقيت وتسلطت ، وجاء سيدنا الرسول ﷺ فقضى

بها فى عهده ولكن تجددت هذه اليوم، فأصبحت السدانة والحجابة والحج كله وسيلة لتجارتهم وكسبهم، إلى أن قال : فالمطوف ووكيله والسادنون كلهم حتى حكومة الحجاز كلهم لهم حظ من هذه التجارة والكسب، فأصبحت الكعبة و فريضة الحج مثل ما يقوم به الوثنيون فى " هردوار " بالهند من اجتماعاتهم القومية الوثنيه، إلى آخر ما قال من هفواته (١) .

الانتقاد والمؤاخذة : بيانه هذا واضح لايحتاج إلى نقد وتبصرة يومئ ذلك إلى ما فى قلبه من بغض لتلك البقاع المقدسة وساكنيها ولمن يقوم بشئون إدارة الحرم وازدراء بهم من كل ناحية، فليس هناك أى صفة إسلامية من علم وخلق وحياء فى نظره، هذا حكمه على البلاد بعد ما مضى على الحكومة السعودية نحو عشرين عاماً فى ظل مليك عالم متبع للسنة مقدراً لأهل العلم أى تقدير محب للعلماء أسس بنياناً لكل سعادة فى البلاد وإن كان ينقصه الوسائل المادية عند ذاك فلا شك أنه من أنقذ البلاد من فتن وشرور وفساد، فأصبحت بلاداً آمنة مطمئنة بفضل ما قام به من نظام شرعى إسلامى ترفرف عليها رايات الأمن والسلامة والكرامة؛ فالمودودى عنده المطوفون ووكلاؤهم وأرباب الإدارة والحكومة السعودية كلهم جعلوا فريضة الحج وسيلة لأغراضهم التجارية والمادية، فتجددت تلك الجاهلية مرة أخرى بعد ما قضى عليها الرسول ﷺ .

---

(١) خطبات (ص - ٣٣٣) طبع ١٥ سنه ١٩٦٢ م .

اعتقاده فى الدجال وتخطئة حضرة الرسالة فى أحاديثه

يقول المــودودى : كان رسول الله ﷺ يظن خروج الدجال فى عهده أو قريباً من عهده ولكن مضت على هذا الظن ألف سنة وثلاثمائة سنة وخمسون عاماً قرون طويلــة ولم يخرج الدجال فثبت أن ما ظنه ﷺ لم يكن صحيحاً . " رسائل مسائل " (ص - ٥٧) طبعة سنة ١٣٥١هـ ، ثم زاد فى الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤هـ: كان ظنه قبل وقته ، ثم زاد فى الطبعة الثالثة ١٣٦٢هـ : قد مضت ألف وثلاثمائة وخمسون سنةً ولم يخرج الدجال ، فهذه هى الحقيقة ، وكتب أيضاً فى (ص - ٥٥) : كل ما روى فى أحاديثه ﷺ فى الـدجال ثبت أن كل ذلك كان رأياً وقياساً منه ﷺ ، وكان فى ريبة من أمره ،فتارةً ظن أنه يخرج من خراسان، وتارةً أنه يخرج من أصبهان ، ومرةً أنـه يخرج من بين الشام والعراق ، وأخرى ظن أنـه ربما يكون هو ابن الصياد بالمدينة ، وقال مرةً ما رواه عنه فلسطينى راهب مسيحى تميم الدارى (أى فى " صحيح مسلم ") .

الانتقاد والمؤاخذة : قولــه هذا أما أولاً : فصريح فى الإنكار من خروج الدجال مع أن عقيدة خروج الـدجال ثبتت بأحاديث متواترة بلغت القطع واليقين .

وأما ثانياً : فهو صريح فى تخطئة الرسول عليه صلوات الله وسلامه فى قوله هذا بأن تاريخ القرون الخالية كذب هـذا الظن والجزاف .

وأما ثالثاً : فإن عقيدة خروج مسيح الدجال عقيدة مقطوعة كنزول المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام بل عقيدة مقطوعة توارثت فى كل دين سماوى فيقول سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامـه فيما أخرجه البخارى فى "صحيحه" من حديث ابن عمر مرفوعاً فى عـدة مواضع وفيه : فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب فى ذكره وقال : « ما بعث الله من نبى إلا وأنذر أمته ، أنذره نوح والنبيون من بعده ، وإنه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنـه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس بأعور ، وإنـه أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية إلخ » .

انظر إلى هذا التواتر العجيب المتوارث فى كل دين على لسان كل نبى ؛ فعقيدة مقطوعة على لسان مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبى ينذر كل نبى قومه ، ثم خاتم النبيين ﷺ يتعوذ من فتنة المسيح طول حياته فى آخر كل صلاة من الأحاديث الفعلية ، ثم يأمر أصحابه بالتعوذ منه فى الأحاديث القولية ، ثم ثبت متواتراً خروجه فى جملة أشراط الساعة ، فهل يتصور فى العقول يقين أشد وأقوى من هـذا ؟ فلاحظ قول المودودى أمام تلك الحقائق الدينية بأنه ﷺ كان مرتاباً فى أمره وكذبه الواقع بأن ظنه غير صحيح .

وأما رابعاً : فخروج المسيح الدجال من جملة ما أخبر به ﷺ من أشراط الساعة ، فكما أن الساعة مقطوع بها أصبحت هــذه العقيدة لتواترها مقطوعةً ، فادعاء أن القرون تطاولت ولم يخرج يشبه أن يقول أحد: إن الإخبار بقرب الساعة فى النصوص كذبها التاريخ حيث مضت قرون ولم تقم الساعة ، فليس هناك أىّ فرق بين هذا وذاك ، « كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ».

وأما خامساً : فالاختلاف فى محل خروجه ليس الاختلاف فى أمر جوهرى ، والقدر المشترك فى تلك الروايات هو خروج المسيح الدجال سواء فى خراسان أم من أصبهان مع أنهما واحد ثم لــه جولات فى البلاد ، فظهوره فى شام أوعراق أوبينهما أو فى مكة كل ذلك ليس فيها تعارض وتضارب ، وإنما يرتاب فى مثل هذه الأمور من لابصيرة له فى الحديث وصنيعه .

رأيه فى الحكومة السعودية

٨ ـ يقول فى كتابه "تجديد وإحياء دين" (ص ـ ٢٠) :

ما لفظه بالأردوية :

روحانى پیشواؤں اور مذہبی عہدہ داروں کا ایک طبقہ مخصوص امتیازات کے ساتھ پیدا ہوتا ہے ، شاہی خاندان اور مذہبی طبقہ مل کر ایک ملی بھگت قائم کرتے ہیں خاندان پر خاندانوں کے اور طبقوں پر طبقوں کے تفوق کا ایک مستقل نظریہ وضع کیا جاتا ہے اھ ـ

وترجمته إلى العربية

ربما تنشأ طبقة خاصة من شيوخ وأرباب الدين ورجال المناصب الدينية الممتازة ، وتتفق هذه مع البيت الملكى والعائلة المالكة فى إنشاء دولة وحكومة ، ويكون نتيجة ذلك أن تكون السلطة العليا والحكومة منحصرة فى قبائل خاصة وعشائر طبقة بعد طبقة ، وهكذا تنشأ فكرة مستقلة للتفوق والاقتدار .

الانتقاد والمؤاخذة : كلامه فى المملكة العربية السعودية هذا أمامك مستغنى عن شرحه و بيانه ؛ فهو يصدع بنقد هذا النظام، وأنه فكرة خاطئة لتخطيط الدول و الحكومات مع أنا نعلم أن أحكم شئ فى نظام الحكومات الإسلامية أن يكون الشيوخ

وأرباب السياسة جنباً بجنب، وتكون السلطة الدينية لأرباب الدين، ويكونوا قدوةً فى أحكام الدين كما يفوض شئون الإدارة ونظام المملكة لأهلها من يكون فيه كفاءة للإدارة ، وقلما يجتمع الأمران إلا فى أشخاص وشخصيات ممتازة بارزة وإذا لم يكن هناك من يجتمع فيه تلك الخصائص بأجمعها فالملائم التوزيع والتقسيم يفوض كل شأن إلى كل من يكون أهله ولايوسد الأمر إلى غير أهله .

ومثل الدولة كمثل مدينة تحتاج إلى أرباب الحرف والصنائع من حدادة ونجارة وخياطة وما إلى ذلك من مقاولات هندسية وتخطيط أبنية وعمارات ، كل شئ يفوض إلى من يكون فيه كفاءة ؛ فهكذا حال الشئون الإدارية والشئون المذهبية فى كل حكومة ، والخلافة الراشدة أروع مثال لجمع الكمالات فى أفذاذ والأشخاص ، ومع هذا فهناك أذواق طبيعية يختلف منحاها ، فرجل يصلح للقيادة فى الجيش ، ورجل يصلح لإقامة الدعوة ، فمن الطبيعى أن يفوض كل عمل إلى من يجيده إدارياً أومذهبياً ، نعم من الضرورى أن يكون هناك تعاون وتساند ولا يكون تحزب وتفرق وتشتت ، ولكن بالأسف الشديد الأستاذ المودودى غلا فى رأيه لإقامة إحياء الدين وتجديده ، فلايرى أمامه إلا عهد أبى بكر وعمر، وينتقد نقداً مراً عهد الخليفة عثمان رضى الله عنهم ، وجاء بطامات فى حق سيدنا عثمان بما تقشعر منه الجلود وتنشق الأكباد ، وظلم على الخليفة المظلوم الشهيد بالانتقاد فى كتابه " خلافت وملوكيت " ما لايستساغ ، وتمثل شخصية المودودى هناك تمثل شيعى ينتقم من الإسلام ومن الخليفة الراشد وإن كان

قدوته فيه سيد قطب فى " العدالة الاجتماعية " حيث انتقد عثمان رضى الله عنه بأنــه كان يعزل أصحاب رسول الله و يولى أعداء رسول الله ، ويقول هو : ويبعد مثل أبى ذر لأنه أنكر كنز الأموال ، ويقول هو فى حقه : يلعب به مروان فصار سيقةً له يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبته لرسول الله ﷺ .

ويقول : إن الخلافــة جاءت إليــه متأخرةً فكان العصبة الأموية حوله وهو يدلف إلى الثمانين ، إلى غير ذلك من خرافات وطامات يترقرق فيها أن الرجل جمع بين الشيعية والشيوعية فى وقت واحـد ، انظر " العدالة الاجتماعية " (ص-٢١٣) الطبعة السادسة ؛ فالأستاذ المودودى اقتدى فيه بقدوته ، وشرح كلامه، وجاء بأدلة من روايات التاريخ من الرطب واليابس ، وسبقه إلى أن قدوته يثنى على الخليفة عمر بن عبد العزيز الأموى وهو ينتقده أيضاً بأنه فشل ولم ينجح، فإنا لله، وكتابه هذا قد قام العلماء بالرد والنقد فى تآليف جليلة ، ومن أحسن ما ألف فى الرد عليه هو كتاب الشيخ الفاضل الصديقى مولانا محمد إسحاق السنديلوى حفظـه الله باسم " حقيقة الخلافة والملوكية " وإنى متأسف على أنــه كيف يغرُّ الناس سمت الرجل من دعايــة فارغــة ليست وراءها إلا حب الزعامة والسياسة ولا ينظرون إلى كتبه بإمعان، ولا يفكرون فى عواقبها الوخيمة ، وفق الله الأمة المحمديـة للسداد ، وجنبه عن كل زيغ وضلال وإلحاد .

والحاصل : أن تصور خلافة راشدة مثل خلافة الفاروق فى مثل هذه العصور المظلمة جنون أو هراء ، ثم كل حكومة إذا

لم تكن على ذاك النظام تكون حكومة" عصبية" أوجاهلية"، قل لى بالله عليك إذا لم يكن مثل سيدنا عثمان ذى النورين مع مناقبه الواردة فى الحديث النبوى الكريم عند المودودى والقطب ليست خلافته على منهاج النبوة ولم يقدر أن تكون خلافته خلافة" على منهاج الخلافة الفاروقية ، وهو يصرح بأن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد فشل فى إنشاء نظام صالح ولم يقم بمنصب التجديد ، وكل من جاء بعده ممن قيل : إنه مجدد لم يكمل تجديده ؛ فمنصب المجدد الكامل لايزال هكذا شاغراً فارغاً لم يملأه أحد إلى اليوم إلى أن قال فى "تجديد إحياء دين" (ص - ٤٨) : توجه إليه ابن تيمية ولكن لم يستطع أن يقوم بحركة سياسية ينقلب بها نظام الحكومة وأن تخرج مقاليد السلطة من الجاهلية إلى الإسلام .

فكان الأستاذ المودودى جاء بعد قرون متطاولة ملأ هذا الفراغ ؛ فيا للعجب نظام لم يقم الخليفة مثل سيدنا عثمان ولا أحد غيره إلى اليوم من بن عبد العزيز إلى ابن تيمية فكيف يرجى أن تقوم حكومة عادلة راشدة فى هذه العصور المظلمة القائمة ، فبنقدان كل حكومة لم تكن على هذا المعيار ، وهذا سفه بل جنون ، فالحكومة العربية السعودية فى نظرنا أحسن دولة فى البلاد العربية بل الإسلامية حيث ولى نظام الدين أرباب الدين وتستفيد فى الدين من آراء الشيوخ ورجال الدين ، وإذا فاتت هذه الميزة فاتت هذه المزية ، شئ هو من جمال المملكة يراه وصمة عار على المملكة ، فيا للأسف ، « فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى

الصدور ، وفى هذه الاشارة الموجزة مقنع للبصير ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

قوله فى طلقاء الصحابة وما كانوا يستحقون القيادة

٩- يقول الأستاذ المودودى فى "ترجمان القرآن" (ص - ٣٥ و ٣٦) سنة ١٩٦٥ م و٤٩ ما ملخصه : إن عثمان رضى الله عنه استخدم الطلقاء فى مناصب سامية من الحكومة والقيادة ، وهؤلاء الطلقاء دخلوا فى الإسلام بعد فتح مكة ، وهؤلاء وإن كانوا ماهرين فى سياسة غير دينية وأمور انتظامية ولكنهم ما كانوا يستحقون ذلك لأجل عدم كفاءتهم فى قيادة أخلاقية ، يريد أن أنفسهم لم تتزكوا بصحبة الرسول الطويلة ، فكانت فيهم بقية من الجاهلية ، وهو يصرح بذلك فى عدة مواضع من كتابه فى " الخلافة والملوكية " وفى كتبه ورسائله ، وفى مجلته بأساليب شتى حتى فى تفسيره " تفهيم القرآن " رمى بسهمه المهاجرين الأولين والأنصار عند صدور الزلة فى غزوة أحد ، وقد أشرنا إليه من قبل .

الانتقاد والمؤاخذة : يريد الأستاذ المودودى بالطلقاء الذين دخلوا فى الإسلام بعد فتح مكة ، ويعد فيهم معاوية ، والوليد ابن عقبة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، ومعاوية بن أبى سفيان كان أسلم عام الحديبية

مخفياً إسلامه من أبيه ، لسنا نريد خوض الغمار فى مناقب هؤلاء وإن رسول الله ﷺ ولى أكثرهم مناصب فى حياته وما قاموا به من فتوحات إسلامية عظيمة وقد حسنوا إسلامهم وأصبحوا من المخلصين؛ دع كل ذلك وإن ما وفقوا للإسلام فى حياته ﷺ ورزقوا نعمة كبيرة من صحبته ﷺ ، وغزوا مع رسول الله ﷺ طائفاً وحنيناً وغيرها، وولاهم رسول الله ﷺ نفسه مناصب شتى، فهل بعد ذلك يبقى أدنى ريبة فى تزكيتهم وكمالاتهم الدينية والخلقية ، ولكن الأستاذ المودودى ينقم على الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه بأنه ولاهم مناصب كبيرة وما كانوا يستحقونها لأجل الدين والتقوى وإن كانوا يستحقونها لمهارتهم فى قيادة سياسية غير دينية ، فكيف يفرق الأستاذ المودودى بين الدين والسياسة فى عهد الخلافة الراشدة ، وما من شك أن الأستاذ المودودى قد آذى الله ورسوله بهذه الشنائع والتهم ولم يلتفت إلى ما أثنى عليهم الله فى كتابه والرسول فى أحاديثه ، ألم يقل سيدنا الرسول عليه صلوات وسلامه : «الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم من بعدى غرضاً ، من أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم » وما إلى ذلك مما شحن به كتب الحديث ، وفى التنزيل العزيز وحده مقنع وكفاية ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الاستاذ المودودى وأصوله الاساسية للجماعة الاسلامية

١٠ - دستور الجماعة الإسلامية ما هو عبارة عن الضوابط الأساسية التى عليها مدار نظام الجماعة جاء فيه : " إن كل أحد

غير رسول الله ﷺ ليس معياراً للحق (أى لايعرف بـه الحق ولا يحتج بقوله) ولا هو فوق النقد، وليس لأحد أن يستعبد أحداً ذهنياً وفكرياً حيث إن الناس كلهم سواء فى مرتبة واحـدة وهم كلهم من خلق الله وصنعه، فكل ينقـد ويحك على هذا المنوال، ويوضع فى مقامـه ومنزلته طبقاً لعياره". هذه ترجمة عبارته أدينا الأمانة فيها جهد المستطاع.

وربما يحس بادى الرأى أنه قاعدة لاغبار عليها، ولكن بعد مـا أمعنا النظر ودققنا البحث وطبقنا عليها بحوثه وأفكاره وما يستنتج منها فى نظرياته وأفكاره وجدناها فى غاية الخطر حيث يمكن أن تتخذ وسيلةً لكل إلحاد فى الدين وابتداع فى الشرع المبين لاينجو منه أحد، والأمة الإسلامية من أقدم العصور إلى اليوم تعلم أن الرسول ﷺ قد أرشد الأمة إلى التمسك بأبى بكر وعمر والاقتداء بهما، وأمر باتباع سنته وسنـة الخلفاء الراشدين من بعده، بل أمر بعضّ النواجـذ على سنتهم، وحذرنا عن نقدهم والأخذ عليهم، أوجعلهم أغراضاً للنقد والرد وأهدافاً للملام، إلى غير ذلك ممـا يعلم من مناقبهم ومفاخرهم والأمر بالاهتداء بهديهم، وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا أبرّ هـذه الأمـة قلوباً وأعمقها علماً، بل قد توسع دائرة كلامه إلى سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا ﷺ، مع أنا مأمورون بالإيمان عليهم وإنهم معصومون لايحل لنا النقد عليهم ولا الخطأ عنهم، وفعلاً قـد صادفنا الأستاذ المودودى تعرض إلى عرض الأنبياء فلم يترك داود ولا سليمان ولا موسى ولا يونس بل انتقد

سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه بأنه أخطأ ، وأنه لم يصب ، ويدعى أنه قد كذب رأيه وقياسه تاريخ هذه القرون المتطاولة ، وكل نبى لابد أن يخطأ بل يعصى ويذنب ، إلى غير ذلك من الطامات .

وأما أصحاب رسول الله ﷺ فلم ينج منه مثل سيدنا عثمان الخليفة الراشد ذى النورين، وهتك أعراضهم بحب الدنيا، والطمع، والبخل ، والحرص ، والحسد ، والبغض ، فضلاً عن التابعين لهم بإحسان ، وعن السلف الصالحين فى كل عصر و زمان ؛ فهذه القاعدة فى دستوره خطرة جداً ، وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ حملة دينه بلغوا هذا الدين طبقةً بعد طبقة أمناء على الدين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، فهؤلاء إذا جرحوا ونقدوا وأصيبوا بالطعون وأصبحوا دريئةً للخوض فى أعراضهم وتلوثت الألسنة بسبهم أوشتمهم فقل لى بالله عليك كيف نطمئن بهذا الدين وهم حاملوه إلى الأمة؟ وممن نأخذ هذا الدين؟ ثم أليس فى هذا تكذيب لله تبارك وتعالى؟ فالله سبحانه فى التنزيل يقول : « يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » ويقول : « أولئك هم الصادقون » ويقول : « أولئك هم المفلحون » . ويقول عزوجل : « وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً » ويقول الله عزوجل : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » إلى غير ذلك من آيات التنزيل العزيز .

فهل الأستاذ المودودى أعلم بأصحاب رسول الله ﷺ أو الله سبحانه أعلم بأحوالهم وهو الخالق اللطيف الخبير ؟ وهل المودودى

أعلم بأحوال صحابة رسول الله ﷺ أم رسول الله ﷺ أعلم بأحوالهم؟ فإذا لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ معياراً للحق وميزاناً للدين فمن الناس بعدهم ؟

وبالجملة : فكلماته في هذا الدستور توسع دائرة النقد على الناس قاطبةً وفيهم الأنبياء ومنهم أصحاب سيد المرسلين محمد سيد البشر ﷺ ، وتفسيره للقرآن وتنقيحاته وتفهيماته وسائر تآليفه وكتاباته في مجلته يتجلى فيها أسلوب الانتقاد والحط من منازلهم ولكن ربما يخفيها كدبيب النمل ، وربما يغلف على هذه السموم عسلاً ودسماً لكي يبتلع بكل سهولة ولاينتبه لها أحد ، وهذا الدستور مرآة لما في قلوبهم ولتخطيطهم الحركة ، وأساس لما يبنون عليه من البناء الشامخ الباذخ ، وهذا الدستور وإن غيروا وغيروا وبدلوا وبدلوا بعد المؤاخذات والانتقادات ، ومع هذا فبقى هذا القدر وعرفت حاله .

ومن الواضح البين كصديع الفجر أنه ﷺ بعث بتزكية هذه النفوس ، وبتربيتهم علماً وعملاً ، وتعليمهم قولاً فعلاً ، فأصبحوا منائر للهداية والإرشاد ، ونجوماً في الأرض فوق نجوم السماء ، وإن الله سبحانه قد أثنى عليه ﷺ بأنه نجح وفاز ، وأقام الحجة وأوضح المحجة ، وأدى الأمانة وبلغ الرسالة ، فهكذا أكمل الله سبحانه هذا الدين ، وأتم على الأمة هذه النعمة وإذا كان هؤلاء تحت الانتقاد والمؤاخذات ، وبقيت فيهم للجاهلية بقية ، وما إلى ذلك من طعن ونقص وتقصير كما أسلفنا الإشارة ،

فإذن هو ﷺ قصّر فى أداء فريضة النبوة والعياذ بالله ، ولم يقم حق القيام بأعباء النبوة مع كونه أفضل الأنبياء وأفضل الرسل .

فإذن يلزم أن يقال : إن الله سبحانه قصر فى الانتخاب والاصطفاء ولم يصادف النبوة من يكون فيه كفاءة، فالله تعالى إذن مقصر والرسول ﷺ مقصر فضلاً عن الصحابة، فانظر - وفقك الله - إلى أين تصل هذه الشناعة والقباحة ؟ وفعلاً الشيعة تدعى أن الصحابة كلهم ارتدوا عن الإسلام ما عدا ثلاثة أو خمسة أو سبعة على اختلاف بينهم ، فإذا قيل لهم : إن الله أثنى عليهم فى التنزيل وذكرهم بالترضية والدرجات العلى ، فيجيبون أقبح الإجابة بأن الله لم يبد له ذلك عند ذاك ، ويضطرون إلى القول " بالبداء" مثل اليهود .

ففكر فى هذه العواقب هل يبقى الإسلام بعد هذا الدستور الإسلامى ؟ ثم لاحظ مع هذا الدستور ما قرره بأن الأمة من أقدم العصور إلى اليوم لم تعرف الله ولاالرب ولاالدين ، ويصرح الأستاذ المودودى بأنه يكفى لفهم القرآن اللغة والعقل ، والمفسر للقرآن فى غنى عن هذه التفاسير ، والأحاديث وصلت من رجال إلى رجال ، ومن رواة إلى رواة ، وتلاعبت بهم الآراء والأفكار والنزعات ، ولا يطمئن إليهم ولا إلى جرحهم وتوثيقهم ، ويدعى أن مثل "صحيح البخارى" أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى فيه أحاديث ساقطة ، وينكر وجود السماوات على ما يفهمه المسلمون وينطق بها الأحاديث ، وينكر رفع الطور على رؤوس اليهود ، وينكر الحور وقاصرات الطرف ، ويدعى أن بنات الكفار وبنات

المسلمين الذين لم يستحقوا دخول الجنة فبناتهم تكون حوراً عيناً تخدم أهل الجنة، وإن حديث أنس فى "الصحيح" فى بيان ما أعطى النبى ﷺ من القوة غلط كم وكم، هكذا يرد الاحاديث الصحيحة برأيه وفهمه العليل، وكل ذلك دليل على أنه وضع أساساً فى دستوره وفى كتاباته ليتحمل كل ما لا يتحمل، وليستساغ ما لايستساغ، ومن أجل هذا الدين الإسلامى بزعمه كحركة من الحركات والنهضات كأنه ليس دين سماوى بل قام به ﷺ كما يجتمع رجال لإنشاء جماعة و حركة و نهضة ويتقدمون إلى الأمام بمؤتمرات ومشاورات وموادعات، هذا هوالذى يدعو إليه هذا الأستاذ المودودى فى دستوره وضوابطه وقواعده الأساسية، وعلى ضوئها ما ألفه من كتب ورسائل.

والحاصل: أن دستوره فى غاية الخطر، ونتائجها خطرة جداً باسم الإسلام والدين ينخلع الرجل عن دين الإسلام، ثم إن دين الإسلام ليس مما جاء به الرسول ﷺ، وإن كل دين دين الإسلام، وإن الرسول ﷺ جدده وأحياه، فإذن كل دين إذا انقاد له الرجل يكفى لنجاته يستغنى عن دين محمد ﷺ، وربما يكون للخبير والبصير مقنع فى هذه الإيماضات والإلماعات، وهذه قطيرات من بحر المودودى المتلاطم تياره فى المجلة والتأليفات، ومن أجل ذلك قلت: وقد حان أن نسبر كل ما قاله سبراً بنصفة و ديانة حتى تتم الحجة عليهم.

وفى ختام هذه المقدمة نأتى بقرار اتخذه أكابر العلماء وجهابذة الدين فى حق الأستاذ المودودى وجماعته ودستورها فى ٢٧ من

الشوال سنة ١٣٧٠ هـ ١ أغسطس سنة ١٩٥١ م فى دهلى فى مكتب " جمعية العلماء " وقد اتفق أكابر علماء الدين بهذا القرار وفيهم مثل شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدنى رئيس أساتذه دار العلوم بديوبند ، ومثل المحقق مفتى الهند الأكبر الشيخ محمد كفايـة الله الدهلوى ، ومثل حكيم الإسلام الشيخ القارى محمد طيب الديوبندى مدير دار العلوم الديوبندية ، وفيهم مولانا الشيخ عبد اللطيف المحدث مدير مظاهر العلوم فى سهار نفور ، وفيهم شيخ الحديث بركة العصر الشيخ محمد زكريا الكاندلوى الصديقى صاحب " أوجز المسالك شرح الموطأ لمالك " ، وفيهم الشيخ أحمد سعيد خطيب الهند سكرتير " جمعية العلماء " ، وفيهم الشيخ سعيد أحمد المفتى فى مظاهر العلوم ، وغيرهم من أصحاب مراكز العلم والفتوى ، وهؤلاء الأكابر أعيان هذه البلاد وأعلامها علماً وفقهاً ، ودينا وتقوىً ، وكان أصبح عليهم مدار الفتوى .

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

وهـــذا نص القرار المترجم إلى العربية : " إن مطالعة تآليف المودودى وحزبه " الجماعـة الإسلامية " تجعل الناس فى حرية من اتباع أئمة الدين وأن لا يبقى لهم صلة بهم ، وهذا مما يهلك العامة ويضلهم ضلالاً ، ووسيلة لانتقاص صلة المسلمين بصحابـــة رسول الله ﷺ والسلف الصالحين ، وإن كثيراً من تحقيقاتـــه وأفكاره الخاطئة إذا اتخذها الناس تكون وسيلةً لفقه

جديد ، وإحداث فى الدين ، وبدعة فى الإسلام باليقين، وهذا فى غاية الضرر فى الدين ، فنحن نقول بكل صراحة : إن كل حركة تحوى أموراً مثل هذه خطأ ويضر المسلمين، ونعلن براءتنا عن هذه الجماعة وعن هذه الحركة .

فاتفقوا على هذا القرار فى غاية المسامحة ولم يشددوا الأخذ عليه ، وأعلنوا عنه فى الجرائد لكى تجتنب العامة عن الانحياز إليهم ، اتخذوا هذا القرار قبل ستة وعشرين عاماً فى أول أمره وكان لم يظهر إذن ما ظهر بعد من شدة شكيمته فى الطعن على الصحابة والتابعين ، ولم يظهر من قلمه ما بدا فى هذه الأعوام مما ذكرنا شيئاً منه . ولم يكن صاحب تفسير ولا صاحب " تجديد دين " ولا صاحب " خلافة وملوكية " ما احتوى على طامات ، ولو رأوا ما رأينا وبدا لهم ما بدا لنا لكان حكمهم فى المودودى وجماعته أشدُّ من هذا ، ولكن هؤلاء الجهابذة تفرسوا الخطر ببصائرهم ونصحوا القوم بالاحتراز والتجنب عنه شأن الصالحين الأخيار والمتقين الأبرار ، وهؤلاء كلهم انتقلوا إلى رحمة الله غير واحد أو اثنين .

ثم على هذا القرار توقيعات كثيرة من أكابر علماء الهند وعلماء باكستان لا لزوم لنقلها ، فقد كانت كلمة اتفاق بين الأمة لم يتخلف عنه عالم :

فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقبل ذلك بشهور إن مركز الفتاوى فى الهند ورئاسة دار الإفتاء فى دار العلوم فى ديوبند أصدرت الفتوى فى الأستاذ المودودى وجماعته وهاك نص الفتوى مترجماً إلى العربية :

يجب على المسلمين أن يجتنبوا عن " الجماعة الإسلامية " ، وإن المشاركة فيها سمّ قاتل، وعلى المسلمين أن يكفوا الناس عن المشاركة فيها لكيلا يضلوا ، وضرر الجماعة أكثر من النفع، فلا يحل شرعاً المساهمة فيها ، وكل من أيدها وأعانها بالنشر والإشاعة يكون آثماً ويكون داعياً للإثم والمعصية بدل أن يكون مثاباً ، ومن كان منهم إماماً فى مسجد فتكره الصلاة وراءه .

كتبه السيد مهدى حسن . رئيس دار الإفتاء بديوبند

الجواب صحيح ، مسعود أحمد . نائب الرئيس للإفتاء

٢٣ جمادى الأخرى سنة ١٣٧٠ هـ

وهذا المفتى الأكبر لدار العلوم فى ديوبند توفى فى هذا العام قبل شهر فى سن كبيرة ٩٦ عاماً ، أكبر محدث فى عصره وأفقه رجل فى البلاد شرح " كتاب الآثار " لمحمد بن الحسن الشيبانى فى عدة أجزاء سماه " قلائد الأزهار" ، وشرح "كتاب الحجة" للإمام الشيبانى ، وقام بالرد على ابن حزم فى " المحلى " بكتاب سماه " السيف المجلى فى الرد على المحلى " ، وله تأليفات أخرى بديعة .

وهـذا ختام الكلام فى هذا الجزء على الأستاذ المودودى وحزبـه ، الله يهديهم جميعاً ، وسنعود إلى الموضوع بعد فترة إن شاء الله تعالى ، وهذه فاتحة الحديث معه :

إذا كنت فى المدارك غرّاً ثم أبصرت حاذقاً لاتمار
وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

هذا ؛ والله ولى التوفيق والهداية ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الفهرس

الأستاذ المودودي

وشيء من حياته وأفكاره

(٢)

بقلم

المحدث الكبير علامة العصر فضيلة الشيخ

محمد يوسف البنوري

حفظه الله

مدير المدرسة العربية الإسلامية وشيخ الحديث بها

ورئيس وفاق المدارس العربية بباكستان

وأمير مجلس تحفظ ختم النبوة

قام بطبعه

مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي

كراتشي رقم ٥ باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القوى القاهر ، المنتقم الغافر ، الأول والآخر ، والباطن والظاهر ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله ، مـن يستحق المحامد والمجد الباهر ، وأشهد أن سيدنا محمد المبعوث بأعـلى المفاخر وأسنى المآثر ؛ فاللهم صل وسلم وبارك عليـه وعلى آلـه وصحبه أولى المعالى والفضل السائر ، وعلى من اهتدى بهديهم الطاهر ، ومن ذب عن الدين بالألسنـة والأقلام والمحابر ، على رءوس الأشهاد وعلى المنائر والمنابر ، ما انهلّ كل صوب ماطر ، وما تحلق فى جو السماء كل طائر .

أما بعد ؛ فكنت قدمت للأمة العربية وعلمائها جزءاً لطيفاً ليتفكر فيه كل من يهمه أمر دينه من أولى الألباب والأفكار ، وممن يقدر فى سويداوات الخواطر الحق والصواب ، فى رجل غلا فيـه رجال بل أعلام ، فى رجل حاد عـن الصراط السوى ووصل إلى الإلحاد أو كاد ؛ فضلت به عقول وأحلام من أعيان وأعلام فى بلاد الإسلام ، ولم ينتبهوا إلى ما بثه فى تآليفـه ومقالاته مـن ضلال وزيغ وجهل وإلحاد ، وأصبحت فتنـةً عظيمةً انخدع بها طائفة كثيرة من العوام ، الذين صلتهم بعلوم الدين فى غاية الضعف والوهن .

فقدمت البيان وكشفت القناع بعد ما استخرت الله سبحانه وتعالى ، وكنت برهةً من الدهر تعوقني طبيعتي عن الكتابة في الموضوع نظراً إلى بعض الفوائد للجيل الجديد ، الذين أصبحوا من الدين على شاطئ بعيد وجرف منهار ، وتارةً يصدني بعض المخلصين بأن الظروف غير ملائمة وقد قام به رجال فضلاء وذوو ألسنة حداد من مصاقع الخطباء ؛ فأبدوا على رءوس المنائر والمنابر من أفكاره الشاذة ، التي خرجت عن الجادة ، ومن أجل هذا أصبحت منذ ثلاثين عاماً أتقدم وأتأخر ، وأحجم عن التقدم للمؤاخذة والنقد ، حتى قرب الرحيل إلى ديار الآخرة وكان الأمر كما قيل :

قرب الرحيل إلى ديار الآخرة
فاجعل إلهي خير عمري آخره

وكذلك صاحبنا لو سبقنا إلى رحيل الآخرة ، ثم نقوم بالنقد عليه بعد أن قضى نحبه لقيل : سكتوا في حياته عجزاً أو جهلاً ونطقوا بعد رحيله ؛ فقاموا ينهشون عليه جدثه، وعسى أن يكون النقد والمؤاخذة في آخر حياته أنفع للتروى وكبح الشكيمة ، وربما يوفق إلى الإنابة والرجوع ، حيث إن إدبار الدنيا وإقبال الآخرة خير وازع وأحسن رادع ، وقرب الأجل أقوى حافز إلى التوبة والإنابة ؛ فقمت بعد الاستخارات وتفكير طويل إلى الانتقاد ذباً عن حريم الدين ، ابتغاءً لوجه الله الكريم ، دون أي جنوح إلى مطامح الدنيا ومطامعها ، وكفى بالمرأ شقاوةً جاوز سنه سبعين عاماً ولا يزعه وازع عن سخط الله تعالى .

ثم أنا أدرى أن جماعتـــه وحزبه لهم أموال طائلة فى البلاد وخارجها ، ولهم وسائل شتى من الجرائد والمجلات ، وأقلام ومحابر ، ولهم حماة ورعاة ، ولهم إدارات وجمعيات ، وعندهم من تنظيم للدعاية ما يدهش الحليم حيراناً ، وكم من باكستانى وهندى وعربى ، وكم مـن جاهل صحفى أصبح مغروراً بسمتهم لأجل دعايتهم ، وبعض منهم ممن يتظاهر بشتى المظاهر ليس له هم إلا المال والجاه ، يطوف فى البلاد لجمع الأموال بأسماء كاذبة ما لها حقيقـــة بكل زور وتلبيس لا يخشى الله ولا يوم الحساب ، ولا يخاف المقام عند رب الأرباب ؛ فأمثال هؤلاء يفتحون أفواههم بالازدراء ، وأقلامهم بالافتراء ، عاملهم الله بعدلـه أوهداهم إلى الحق بفضلـــه « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » ولله در القائل :

إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجـــة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

وبالجملـة : استعجلت فى الأمر وأستعجل راجياً مـن الله أن يوفقنى لإنجاز ما أردت ، وأن يطيل حياة الرجل لإبلاغ ما قصدت ؛ فربما يرعوى ويهتدى ، وحسبى سعادة أن أكون وسيلة لاهتدائه إلى الصواب ، وخروجه عن ضلاله المحير لأولى الألباب ، أو ينتبه الذين انخدعوا ببراعته وكماله ، ويتبرءوا من زيغه وضلاله ، « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

آراؤه المشار اليها سابقاً

يلائم أن نلخص الأفكار التي قدمتها في العدد الأول من " الأستاذ المودودي وشئ من حياته وأفكاره " وكانت عشرة فهاك تلخيصها :

الأول : تحريفـه في معاني الله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، في رسالته المفردة ببيانها ، وأصبح ذلك التحريف رأس كل ضلال وزيغ ، مدعياً أنـه خفي على الأمة معانيها ، وبخفائها خفي عليهم ثلاثة أرباع الدين بل أكثر ، بل خفيت عليهم روح الإسلام والدين ، فعل ذلك لكي يتسنى له ما يحاول من تأويل وتحريف مدعياً أن العبادات المعروفة من صلاة وصيام وصدقة وحج كلها وسائل للمقصد الأسنى وهو الحكومـة الإلهية ، ودعواه هذه في غايـة الخطر والبعد عن الحق ، فإنـه يمكن أن يستنتج أحد منها أنه إذا حصلت الحكومة فإذن لا حاجة إلى القيام بهذه العبادات حيث حصل المقصود .

الثاني : أن مقاصد الإسلام الأساسية صنف من العقائد كالتوحيد والرسالة وغيرهما لا تتغير ، وصنف تتغير دائماً حسب المصالح والضرورات وهو ما عدا العقائد ، فجاء فيها الصلاة والصوم والزكاة والحج ، ويزعم مدعياً أن له نظائر أكثر من أن تحصى ، ومنها : المساواة بين أفراد الشعوب قام بـه رسول الله ﷺ طول حياته ، ولكن ترك ﷺ في آخر حياته

هذا الأصل القرآني وأعلن أن الأئمة من قريش ، وهذا من أبشع الدعاوى يمكن أن يستثمر منها أحد للقضاء على جميع العبادات أو التعديل فيها كماً وكيفاً ، وما إلى ذلك من نتائج خطرة .

الثالث : أن العصمة للنبوة غير ذاتية وغير مستمرة ، وقد تنفك عن الأنبياء هذه العصمة لإبداء البشرية وعند ذلك تصدر منهم أخطاء وزلات وذنوب ، وبشاعة هذه الضابطة جلية واضحة تستغنى عن البيان ؛ وعصمة الأنبياء بعد النبوة كلمة اتفاق بين الأمة جمعاء ، وربما يكون هذا معتقد الشيعة بأن العصمة من خواص الإمامة .

الرابع : أن الدين فى الحقيقة إقامة الحكومة ، والعبادات وسيلة مطلوبة لأجلها ، فرضت على العباد للإعداد لأمر عظيم وهو الحكومة الإلهية ؛ وبشاعته جلية ، لأن العبادة خلق لأجلها الإنسان .

الخامس : أنه فسر الهدى فى قوله تعالى : « أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » الآية ، بأن المراد من الهدى نظام صالح يعيش فيه المرأ من فرد وجماعة ، وتدبير المملكة والعلاقات الدولية وغيرها ، وفسر الدين بأن يدين الناس للسلطة العليا ، وقال : وهو قريب مترادف لما يؤديه كلمة " اسثيث " بالإنجليزية إلخ ، وفساده واضح ؛ فقد قلب الأمر حيث إن السلطة

العليا مطلوبة لإصلاح العباد والبلاد ، لا أن العبادات وسيلة للاقتدار .

السادس : ما ملخصه : أن أهل مكة والبيت الحرام قد عادوا إلى الجاهلية الأولى ، وفقدوا كل خير دينى أو خلقى أو إسلامى ، والحجاج إذا شاهدوا ذلك رجعوا إلى بلادهم خاسرين .

السابع : أن رسول الله ﷺ قد أخطأ فى رأيه فى خروج الدجال حيث إن هذه القرون المتطاولة كذبته فلم يخرج، وظاهر أن عقيدة خروج الدجال قبل الساعة مقطوع بها مثل عقيدة نزول عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ؛ فقوله هذا يكاد يكون كفراً ، والحديث متواتر ليس من الآحاد .

الثامن : رأيه فى الحكومة السعودية بأنها على غير نظام الإسلام ، لم يصرح باسمها ولكن فى غضون كلامه وثناياه نقدها وحطّ من قدرها فى كتابه " تجديد وإحياء دين " (ص - ٢٠) .

التاسع : قوله بأن سيدنا عثمان الخليفة الراشد قد ولى المناصب الكبيرة من كانوا طلقاء ولم تكن فيهم كفاءة للقيادة ؛ فظهر الاختلال فى عهده .

العاشر : رأيه فى أصحاب رسول الله ﷺ فى دستور جماعته بأن الصحابة ومن عداهم ومن بعدهم كلهم سواء فى النقد والرد غير الرسول ﷺ ؛ فليست الصحابة معياراً للحق ، وأنت

تعلم أن أمر رسول الله ﷺ إلى الاتباع بهديهم وسنتهم فى الدين واضح لاينتطح فيــه عنزان ؛ فهذه عشرة أمور أشرت إليها الآن ، وبحثت عنها ونقدتها فى العدد الأول ببحث موجز من غير بسط القول اقتناعاً بفهم أرباب الفضل .

وأفردت هــذا العدد الثانى لتقديم نمــاذج من تفسيره " تفهيم القرآن " وشئ من آرائه الضالة فى حق الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، ومن بعض تآليفه الأخرى نماذج قليلة ما يدل على سوء معتقده فى بعض الأمور ، ومنها ما يدل على جهله وسوء فهمــه فى كثير من الأشياء ، وعلى عدم كفاءته العلمية للخوض فى هذه الغمار ، ولا السباحة فى هذه البحار ، وبالأسف الشديد يقال : إن نفسه الطموح تحاول أن تكون بارعةً فى كل شئ ، وأن ينقاد الناس جميعاً لزعامته ديناً وسياسةً ، ويا ليت لو كان أهلاً لذلك ، رجل صحافى يجيد الإنشاء باللغة الأردوية فحسب ، لم يتلق العلوم من أهلها ولااستفاد من صحبة أهل العلم ومجالسهم ومع هذا يحاول أن يحلق فى سماء العلم ، ويطير طيراناً لايلحقه أحد فى العالمين من الأولين والآخرين ، إذا دخل فى مسائل الدين يزعم أنه قصر فيه مثل ابن دقيق العيد الإمام ، وابن تيمية شيخ الإسلام ، وإذا دخل فى السياسية يدعى أنه قصر فيها مثل الخليفة عثمان وعمر بن عبد العزيز وملوك بنى أمية جميعاً وخلفاء بنى العباس أجمعين ومن بعدهم من الغابرين (ا) وإذا

(ا) ستأتى منها نظائر وأمثلة فى هذه الرسالة .

خاض في بحث التقوى ومخافة الله رأى دونه داود وسليمان ويونس وموسى حتى سيدنا سيد العالمين محمداً صلى الله عليه وعليهم وسلم؛ فيا للأسف ما لهذه الفخفخة والبذخ والإعجاب .

لأى رزايا الدهر فيه نعاتب وأىّ رزاياه بوتر نطالب
مصائب شتى جمعت فى مصيبة ولم يكفها حتى قفتها مصائب

ومن المؤسف المؤلم أن حزبه يقرءون له هذه المستبشعات التي لاتستساغ ، ينقد الأنبياء وأمهات المؤمنين والصحابة والتابعين ولايحرّك لهم ساكناً ولاينبض لهم عرق ، يستمعون وينصتون ، وإذا نقد على كبيرهم وزعيمهم الأستاذ المودودي يستشيطون غيظاً ويأخذون يصيحون وينعقون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ فوالله قد بلغ السيل الزبى ، وبلغ الحزام الطبيين ، ولولا ذلك لما كنت أحب أن أشتغل بإبداء هفواته وإظهار ضلالاته ؛ فإن الوقت أهم وأغلى ، والفرصة تكاد تضيع ، وكثير من مسائل الدين أحوج إلى الخدمة من جدباء إلى مزنة وطفاء ، بيد أن حفظ سياج الدين من أمثال تلك السيول الجارفة أقدم من كل خدمة، وإن دفع المضرة أقدم من جلب المنفعة، وإن الفتنة طغت وبغت ، وفتنة الأقلام الجاهلة جاوزت مجاريها .

وهذا التفسير (أى تفهيم القرآن) يغلون فيه بأنه تفسير لا يضاهيه تفسير ، وأصبح فيه المفسر سباق غايات ، وأخذ يترجم إلى اللغة العربية ، وإلى اللغة الإنجليزية ، والجيل الجديد فى الأمة العربية على شاطئ بعيد من علوم الدين ؛ فإذا كان

مناط فهم القرآن على مثل هذا التفسير كيف تكون عواقب فهم الدين ونتائجه وآثاره ؟ ! ثم إذا ضم معه ادعاء كاذب من حزبه بأنه فاق المفسرين وازدراء بأرباب التفسير والسلف الصالحين ؛ فقل لى بالله : ما يكون حال شباب المسلمين الجاهلين المغرورين بمثل هذه التفاسير ؟ والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين ؛ فكان السكوت فى مثله جريمة لاتنكر ، ويكاد يكون معصية لاتغفر ؛ فأردنا بتوفيق الله أن نرفع من تفسيره القناع المسبل الحاجب عن الأبصار بتقديم عدة نظائر منه من غير استيفاء البيان كهمعات متقاطرة تنبأهم عن وابل مدرار .

ثم فوق كل ذلك نمتثل أمره حيث يقول فى مقدمـــة تفسيره (ص - ٦) الطبعة الثانية :

علماء کرام سے میں گذارش کرتا ہوں کہ مجھے میری غلطیوں سے آگاہ فرمائیں - یعنی :

الرجاء من العلماء الكرام أن ينبهونى على أخطائى وأغلاطى؛ فإذن أمتثل أمره من التنبيه على زلاته وسقطاتـــه وهفواته مع تصريحى واعترافى بأنه لم يكن أهلاً للتفسير ، وما كان ينبغى له أن يقدم على هذا الأمر الخطير، وقد خلق الله لكل فن رجالاً ، وليس هو من رجال هـــذا الفن ، ويا ليت لو درى هـذا ، ثم أقول : يا ليت لو رجع عن هذه الزلات بل الضلالات لأراح القوم عن هذه التعقبات ، وقد قال ﷺ : « من حسن إسلام المرأ تركه ما لايعنيه » وقيل : من حسن عقل المرأ أن لايدخل فيما لايحسنه .

ومن أكبر معايب كتبه وخصوصاً تفسيره هذا " تفهيم القرآن " أن من يطالعه ويمعن فيه نظره ولايكون له قبل ذلك صلة قوية بالدين ولا بالذى جاء بهذا الدين ولا من وصل إلينا بواسطتهم هذا الدين كالصحابة والتابعين وأسلافنا الصالحين الغابرين - رضى الله عنهم أجمعين - لأدرك بمطالعته بتأليف المودودى الأمور التالية :

أما أولاً : فإن دين الإسلام حركة من سائر حركات بدت فى القرون الخالية بين الحركات ، وأن رجلاً جاء به ، وأن هناك عصبة ممن نصروه وعاونوه ففاز ونجح ، ولكن سرعان ما أخذ فى الوهن والوهى ، وأنهم لن يستطيعوا أن يقوموا به ، وعجزوا عن القيام به حتى لم يبق له لاعين ولاأثر ، وأن الأستاذ المودودى جاء بعد قرون متطاولة فقام لإحياء هذا الدين وتجديده .

وأما ثانياً : فالرسول عليه صلوات الله وسلامه كان بشراً كسائر البشر يدبر ويفكر ؛ فتارةً يخطئ وتارةً يصيب ، وتارةً ينجح وتارةً يخسر ، وتارةً يكون نصيبه من الفتح والنصر والغلبة ، وتارةً ينال الهزيمة والهوان أمثال سائر الفاتحين والملوك الغابرين نصيبهم من الفتح تارةً ومن الهزيمة أخرى ، وإن كان هو فى ذلك يسيمه رسولاً ونبياً ، ويثنى فى ثنايا كلماته عليه ويمدحه ، ولكن الروح التى تتلألأ فى غضون كتاباته بأنه رجل كعامة أفراد البشر وإن كان له عبقرية فكأنه ليس هناك إله يواليه ، ولارب يناصره

ويحميه ، ولاملك ينزل عليه ويؤيده ، ولا تدبير سماوى للغلبة والفتح والنصر ، ولا أمر غيبى إلهىّ تكوينى للنجاح والظفر .

فإذا كان الانطباع والتأثر بهذه الصورة القبيحة فبالله قل لى : كيف يكون الظن بسائر الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه ؟ فلا غرو إذا كان مثل سيدنا يونس عليه السلام عنده مقصراً فى أداء فريضة النبوة ، وأن يكون سيدنا داود عليه السلام يحتال ويدبر أن يطلق أوريا زوجته وهو يحب أن ينكحها وأن يكون سيدنا موسى عليه السلام عجولاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأما ثالثاً : فأصحاب رسول الله ﷺ كانوا كعامة أفراد البشر يحبون الدنيا ويحبون البذخ ويفعلون ما يفعله الأمراء والملوك من التدابير ، ولم يمكنهم نظام الحكومة على منهاج الخلافة الراشدة إلا سنوات ، حتى إن سيدنا عثمان بن عفان أول من غير وبدل وترك سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة العمرين وأحدث المشاكل لسيدنا على رضى الله عنه فلم يقدر على نظام شرعى فى الحكومة لأجل تلك المشاكل ، وكل من جاء بعده من ملوك بنى أمية غيروا وبدلوا حتى إن عمر بن عبد العزيز الأموى فشل ولم يستطع أن يقوم على أساس شرعى ؛ فكأنهم لم يفتحوا البلاد، ولا قاموا بالجهاد، ولاخدموا الدين ولم يفهموا روح الدين حتى جاء الأستاذ المودودى فقام بتجديد الدين وإحيائه !

وأما رابعاً : فكل ترجمة للقرآن الكريم وكل تفسير للتنزيل العزيز لاتتواجد به الروح ، ولا تقشعر منه الجلود ، ولاتذرف

به العيون ، ولاتتحرك به العواطف والميول ، وإن ترجمة السيد المودودى وتفسيره وحده أصبح بحيث تذرف بها العيون وتقشعر به الجلود ، وتتأجج بها العواطف، وتنشق بها الأكباد، وتتحرك بها القلوب، وتتواجد بها الرؤوس، هذا ما يفهمه كل أحد فهم كلامه فى مقدمة تفسيره وفى تفسيره .

ولايدرى المسكين أن تلك الكيفيات والصفات هى لنظم التنزيل العزيز والقرآن المجيد الذى هو معجز ، ومن كلام الخبير العليم الذى لايخلق بكثرة الرد ولايملّ قاريه ، فإن كانت هذه الكيفيات لو كانت تعرو لتعرو على من يتلو كتاب الله العزيز بتدبر من فكره وبلغ إدراكه إلى دقائق التعبير القرآنى وحقائقه ، ومن له ذوق فطرى سرت إلى روحه وقلبه حلاوته كما يسرى الروح فى البدن فتأخذه هزة كما تهزّ العصفور ، وليست تلك الخصائص لترجمة القرآن الكريم أية ترجمة كانت ولو من مثل أبى الكلام أو مثل المودودى ؛ فحطّ التراجم القرآنيه بمثل هذا النقد خطأ فاحش جلى ؛ فهل ترجمة الأستاذ المودودى لها هذه الميزات والخصائص ؟ كلاثم كلا ؛ فكيف يستحق هو أن ينقد سائر التراجم ، وكأنه يدعى هذه الصفات لترجمته ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

وبالجملة : مطالعة تفسيره تبلغ بالمرأ إلى سوء الظن بمن سبقه ، وأن الأستاذ المودودى قام لما لم يقم به أحد من معاصريه ولالحقه ؛ فاضطررنا أن نقدم عدة أمثله من أفكاره الخاطئة فى

هذا التفسير الذى أصبحوا به مغرمين ، وكنت قد أسلفت نقداً على تفسيره فى رسالتى " يتيمة البيان فى شئ من علوم القرآن " فيلائم أن ننقله هنا برمته ثم نزيد ، والله ولى التوفيق ، وهو الهادى إلى سواء الطريق . وفيها :

والرابع : " تفهيم القرآن " للأستاذ المودودى ، لاشك أن مؤلفه صحافى قدير باللغة الأردوية ، وله ملكة الصحافة الموهوبة ، وله أسلوب بديع فى الإنشاء ، وقلم سيال فى تحليل أجزاء الموضوع ، يستجلب أنظار العامة ، ويستلفت أفكار الجيل الجديد ، وربما يأتى بتفكير جديد فى الأبحاث ، بيد أنه بالأسف الشديد مؤلفه ليس له رسوخ فى علوم الدين، ولا قدم راسخ فى علوم البلاغة وعلوم العربية، فقيد الذوق بالحوار العربى البليغ ، دائماً يبنى على أنقاض غيره ، ولكن لما يريد تعبيره بأسلوبه يخرج عن الجادة ويتجاوز الصواب ، وإعجابه بالرأى ربما يلعب بقلمه ما يكون وصمة عار وجهل أبد الآبدين ، وتظاهره بالتحقيق فى كل شئ مع كونه مسكيناً فى كل فن غير قدرة الإنشاء والتحرير بالأردية ، وازدراؤه بكل من سلف أصبح شيناً لكتبه وكتاباته ؛ فتفسيره فيه مؤاخذات وانتقادات ، وملاحظات ومناقشات ، وهذه الرسالة لاتتسع ساحتها للبحث وتقديم الأمثلة ، ولكن نقتنع بعدة أمثلة كبرض من عدّ .

منها : ما يقول فى آيات غزوة أحد فى آل عمران (١ - ٢٨٨) الطبعة الخامسة : إن كل بيئة وجد فيها الربا تحدث فيها أدواء

خلقية من الحرص، والطمع، والبخل، وإيثار النفس، والبغض، والحسد، والتنافر، والغضب؛ فالذين يعطون أموالهم بالربا يحدث فيهم الحرص والطمع والبخل، والذين يأخذون الأموال بالربا يورث فيهم الحسد والبغضاء والتشاحن؛ فهم صنفان؛ فكان من جملة الأسباب المؤثرة فى هزيمة المسلمين وجود هذه الأدواء فيهم.

انظر هل أشار القرآن الكريم إلى شئ من هذه الأدواء بأنها أثرت فى هزيمتهم، والله سبحانه يقول: «ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر من بعد ما أراكم ما تحبون» ويقول عزوجل: «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم» الآية؛ فأين هذا من ذاك؟ هب أن الشباب عصوا أميرهم وتأولوا فى كلامه وآثروا أن يساهموا فى الغنيمة؛ فهل هذا كان من حرصهم وشحهم وحسدهم وبغضهم؟ وهب أن الربا لم تنزل حرمته بعد ولكن بعد قبولهم الإيمان بإخلاص تؤثر فى طبائعهم هذه الرزائل الذميمة؟ دعنى من هذا فهل الله سبحانه أشار إلى مثله؟ وهل معنى «ببعض ما كسبوا» هذا الذى يقوله الأستاذ المودودى؟ كأن الأستاذ ينتظر فرصة تسنح فى حق الصحابة الأبرياء؛ فينتقم منهم وينزل عليهم باللعن والويلات، ويترقب بالمرصاد للطعن فيهم، هداه الله عن زيغه المبين، ورضى عن الصحابة أجمعين.

ومن العجيب المدهش أنه لما قرأ "ظلال القرآن" للسيد قطب ، وقرأ فيه عدة صفحات فى صدد تفسير آيات غزوة أحد وما عقبها من آيات التنزيل الكثيرة من آية ١٢١ إلى آية ١٨٩ ، أريد أنه فسر ٥٩ آيةً من التنزيل فى صعيد واحد، يبدى لطائفها وحقائقها ، وتناسقها وارتباطها ، واتصال بعضها ببعض ، ولما جاءت آية : « ولا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً » فى أثناء آيات غزوة أحد بعد آيات ثم جاءت فى تفسيرها الكلمات الآتية : ولعل مما يلفت النظر فى التعقيب القرآنى على أحداث المعركة هو ذلك الازدواج العجيب بين استعراض مشاهدها . . . . وبين التوجيهات الأخرى المتعلقة بتصفية النفوس . . . . وتحريرها من ربقة الشهوات ، وثقلة المطامع وظلام الأحقاد . . . . وضعف الحرص والشح والرغبات الدفينة .

وقال فى ضمن تفصيل طويل : وكذلك هى ذات ارتباط وثيق بالأوضاع التنظيمية التى تقدم عليها حياة الجماعة المسلمة وفق منهج الله القويم ، المنهج الذى يقوم على الشورى فى الحياة كلها لا فى نظام الحكم وحده ، وعلى النظام التعاونى لا النظام الربوى ، والتعاون والرباء لايجتمعان فى نظام اه ، إلى أن قال : ومن ثم عرج على الربا فنهى عنه، وعرج على الإنفاق فى السراء والضراء ، وعرج على طاعة الله ورسوله فجعلها مناط الرحمة . إلى أن قال : والمجتمع التعاونى أقرب إلى النصر من المجتمع الربوى ، وكظم الغيظ والعفو من عدة النصر إلخ .

فانظر يا رعاك الله أين هذا الكلام البليغ من ذاك الكلام السمج الثقيل على الأذهـان قبل الآذان ؟ فالأستاذ المودودى لم يصل إلى مغزى كلام القطب ، وذهب وهله إلى ما قال ، وتحدث بحدسه الخاطئ أن تلك الأدواء الخلقية كانت فى الصحابة وأثرت فى الهزيمة ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ فقل لى بالله عليك: رجل بضاعة علمه ما رأيت، وفهمه بالقرآن ما دريت؛ فهل مثل هذا الرجل يستحق أن يؤلف تفسيراً للقرآن العظيم ؟! وأنا أدرى أن الموضوع غنى غايـة الغنى ، وقد ألف تفاسير قبله فى هذه البلاد باللغة الأردية ، وفيها مثل أبى الكلام أحمد من هو أقدر عـلى الأدب باللغة الأردية من الأستاذ المودودى، وهو متطفل على مأدبته الأدبية وسماه : " ترجمان القرآن " والأستاذ المودودى يستفيد منها ويكتب ما يكتب على ضوئها . بيد أنه يحاول أن يسبقهم إبداعاً وإنشاءً ، ويعجب أن ينفرد بتحقيق لم يسبق إليه حتى يكون سباق غايات ، وفعلاً انخدع به رجال ، ثم لايكون فيه كفاءة لهذا السبق ؛ فيقع فى أعمق هوة من الجهل أو الضلال ، وربما يقلده فى ضلال وخطأ ، فيضل التابع والمتبوع .

ومنها: قوله فى تفسير السماوات (١ - ٦١) الطبع الخامس فى سورة البقرة ما ترجمة لفظه: إن حقيقة السماوات السبع وتعينها أمر مشكل ، حيث إن الإنسان قد اختلفت آراؤه فى كل دور فى السماء، أو بلفظ آخر: بشئ فوقه ما وراء الأرض؛ فهو بمشاهدته

وقياسه يتصور أموراً لاتزال تتغير دائماً مستمراً ؛ فلا يلائم أن يرتكز فكر المرأ على واحد من تلك التصورات ويجعلها محطاً لفهم القرآن ، بل يكفى بالإجمال أن يقال : إن ما وراء هذه الأرض من الكائنات قد قسمها الله سبحانه فى سبع طبقات محكمة، أو يقال : إن هذه البسيطة الواقعة فى إطار تلك الكائنات قسم الله تلك الكائنات إلى سبع طبقات اه .

فقوله هذا يدل على أنه لا يؤمن فى السماوات السبع بما نص الله سبحانه فى التنزيل العزيز من بيان صفاتها وأبوابها، دع آراء الإنسان والأفكار البشرية واختلافها ، ما ذا الذى أثبته القرآن الكريم فى نصوصها الصريحـــة الواضحة ؟ أليس يقول الله سبحانه : « فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها » فى سورة فصلت ؟ وما الذى أثبته نصوص الأحاديث المتواترة وخصوصاً أحاديث المعراج المقطوعة من بيان كيفيتها ووجود الملائكة فيها ؟ وما إلى ذلك فى شئون إلهية ونظام سماوى بديع ، دعنا عن فلسفة الإغريق وعن فلسفة أوربا ، ودعنا عن العلوم الطبيعية وعدم وصول أنظارها إليها وحتّى ما وصل إدراكهم إلى تلك النجوم الثاقبة المعلقة فى جوّ السماء على الرغم من الوصول إلى كرة القمر ، وإنزال الطائرات على كرة المريخ ، تحيروا واندهشوا فى سعة هذه الكائنات الجوية ، ومنها : ما لاتصل أنوارها إلى بسيط الأرض فى ملايين من السنين ، وكل هذه المصابيح المبصرة وغير المبصرة تحت السماء الدنيا .

فانظر يا رعاك الله ارتفاع القبة الخضراء كيف رفع سمكها، فانظر إلى قول الله عزوجل : « أأنتم أشدُّ خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكهــا فسواها » (النازعــات) ، وقال عزوجل : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت » (الغاشية) ولعدم وصول العقول والإدراكات إليها زعموا أن كل ذلك منتهى مرأى العيون ، ومنظر رائع فى المرائى ما لها حقيقــة ، ولاريب أنهم كذبوا وخابوا وخسروا ، والقرآن العظيم صرح بوجودها وصفاتها ، وبينت أقوال سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه المقطوعة المتواترة تفاصيلها وشئونها ، وإنها مساكن الملائكة الربانية ، وفوقها عرش الرحمان جل جلاله ، وتعالى الله عن مستقر مادى يحتاج إليه ، ومقر يأوى إليه ، وهو الصمد لم يزل ولا يزال ، وهو الخالق المتعال .

وبالجملة : السماوات مخلوقة موجودة ، والآيات البينات مقطوعة ، والإنكار عنها تكذيب للتنزيل العزيز ، وتكذيب للرسول عليه صلوات الله وسلامه ، والإيمان بصدق القرآن وصدق الله وصدق الرسول من ضروريات الدين ، والتأويل فى مثلها يرادف الإنكار ، فما يقوله الأستاذ فى " التفهيم " يوهم الإنكار عن وجودها وعدم الاطمينان بما أثبته القرآن والحديث وما أجمع عليــه الأديان السماوية الإلهية ؛ فكان حق تفسيرها أن يقول : والأفكار من الفلاسفة وإن عجزت عن إدراك حقائقها فالقرآن والحديث والشريعة كل يصرح بوجودها وحقيقتها ؛

فالاقتناع يقول : إن تعينها أمر مشكل وآراء الرجال مختلفة ، أية حاجة لمثل هذا الكلام السقيم ؟! وأية منزلة لآراء الرجال أمام صرائح التنزيل وقواطع الحديث الجليل ؟ فليزن الناظر المنصف هذا التفهيم الخاطئ أمام هذا المقطوع الواضح .

ثم إنـــه لما قرأ فى " ظلال القــرآن " (١ - ٦٢) من الطبعة الخامسة : ولا مجال للخوض فى معنى الاستواء ، إلا أنه أمر من السيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين ، كذلك لامجال للخوض فى معنى السماوات السبع المقصودة هنا وتحديد أشكالها وأبعادها اكتفاءً بالقصد الكلى من هذا النص ، وهو التسوية للكون أرضه وسمائه فى معرض استنكار كفر الناس بالخالق المهيمن المسيطر على الكون إلخ ، وهذا الكلام فى مثل هذا المحل وإن كان قاصراً بيد أنــــه كلام لاغبار عليـــه غير التقصير ؛ فالأستاذ صاحب " تفهيم القرآن " كأنه لم يدرك مرماه ، وأراد أن يسبقه فى المقال ، وقال مـــا قال وقارب الضلال ، فارجع البصر كرتين ، وقارن بين الكلامين تجد الفرق البين بين القولين ، وبالجملة : كلامه هنا يدل على أنه لم يطمئن بما فى القرآن قلبه ، ولاثلج بما فى الحديث صدره ؛ فرحم الله من أنصف ولم يتعسف ، وأكثر القارئين بشخصية الرجل لا تصل أفهامهم إلى هذه الحقائق وإلى تلك العواقب الوخيمة التى تتسرب فى خفاء فضلاً عن الجيل الجديد المغرمين بالتعبيرات الطلقة ، مع أنها لاتتجاوز عن أن يكون بقبقة فى زقزقة ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ومنها : قوله فى سورة البقرة فى قوله تعالى : « ورفعنا فوقكم الطور » فيقول : إن كيفية الرفع المفصلة مشكلة ، بل يعلم بالإجمال : أن عند أخذ الميثاق فى سفح الجبل أنشئت صورة هائلة علموا منها أنه يكاد يسقط عليهم الجبل إلخ . هذا ذوق معتزلى كأنه ينكر الرفع الحسى الحقيقى ، وتمثلت صورة هائلة هناك مع أن الله سبحانه صرح فى الأعراف بقوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم » الآية ، وبعد هذا النص الصريح وقوع لفظ : « نتقنا » كيف يمكن هذا التأويل الاعتزالى .

ويقول الإمام الراغب الأصفهانى فى "مفرداته" : نتق الشئ : جذبه ونزعه حتى يسترخى . . . . قال تعالى : « وإذ نتقنا الجبل » إلخ ، وهنا أيضاً لم يدرك مغزى قول صاحب " الظلال " فى تفسيره (٩ - ٩٩) : إنه ميثاق لاينسى فقد أخذ فى ظرف لاينسى ! أخذ وقد نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة . . . . . فأعطوه فى ظل خارقة هائلة كانت جديرة أن تعصمهم بعد ذلك من الانتكاس ، ولقد أروا فى ظل تلك الخارقة القوية إلخ ، وكلام صاحب " الظلال " فى الظلة ليس يخرجها عن معناها المتعارف ويسميها خارقة هائلة ، فحرفها المودودى وترجم الخارقة الهائلة بالصورة الهائلة استبعاداً لرفع الجبل كما سبقه إلى ذلك التحريف الأستاذ أبو الكلام آزاد فى " تفسيره " .

ولم ينتبه الأستاذ المودودي إلى كلمة " الخارقة " ومعناه : الخارقة للعادة ، فكانت معجزةٌ إلهيةٌ خارقةٌ للعادة ؛ فالمودودي إما لم يفهمها جهلاً وترجمها بالصورة، أو فهمها ولكن لم يطمئن قلبه بقبولها إلحاداً وإنكاراً عن المعجزة ؛ فحرفها ومسخها وترجمها بالصورة استغراباً للإعجاز ، واستبعاداً لما يتبادر من اللفظ ، ومهما يكن من شيء فتعبيره إما لأجل الجهل بمرادها ؛ أو لأجل استبعاد الإعجاز في القدرة الإلهية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ومنها : قوله في تفسير قوله تعالى : « فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً » الآية ، (١ - ٥٥٦) من " التفهيم " من الطبعة الخامسة ما لفظه مترجماً إلى العربيـــة : بين في هذه الآيات حال سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وما وصل إليه بتدبره قبل تشرفه بمنصب النبوة ؛ فقد اتضح أن من كان سليم الفطرة وفتح عينيه في بيئة وثنية وكان غير ممكن أن يتلقى التوحيد ، فهو أخذ يفكر في هذه الكائنات وآثارها ، ويصل مستدلاً بها إلى الحق ، ثم يقول ما ملخصه : إن هذه المنازل والمراحل من الحيرة والتردد جاءت في البين وسط مراحل السفر ؛ فلا عبرة للمسافر في الإقامة في هذه المنازل ، حيث إن محطَّ الرحل بعده هو الوصول إلى التوحيد ؛ فالعبرة للنهاية لا للبدايـــة ، والعبرة لما حصل عليه القرار لا ما جاء في الوسط من غير انتهاء السير ، إلى آخر ما قال .

وفيه مؤاخذات وأخطاء في هذا التعبير والتحرير :

أما أولاً : فإن كل نبى أو رسول مفطور ومخلوق على عقيدة التوحيد الراسخ فى قلبه ويكون مطمئناً بها ، وغير ممكن أن تمضى عليه لمحة فى حياته من غير إيمان بالوحدانية ، ولا يمكن التردد أو الحيرة للنبى فى التوحيد ؛ و « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » فإذا كان هذا حال عامة من يولد فما ظنك بمن يولد ليكون نبياً ورسولاً ؛ فالإيمان بالله وحده من حاق فطرته ، ولا يحتاج فيه إلى استدلال بل يهتدى إليه بفطرته التى خلقه الله عليها قبل كل استدلال وتفكير ، وهذا هو الحق عند أرباب الحق ، نعم يمكن أن يرتقى بالاستدلال والتفكير والخوض فى ملاحظات الكائنات والنظام البديع السارى فى الكون من اليقين إلى عين اليقين، ومن عين اليقين إلى حق اليقين، كما يوضحه سؤال سيدنا إبراهيم عليه صلوات الله وسلامه عن الله سبحانه وتعالى : « رب أرنى كيف تحيى الموتى » .

وأما ثانياً : فكلام الأستاذ المودودى صريح فى أنه مرّ سيدنا إبراهيم من مراحل الحيرة والتردد فى التوحيد حتى وصل بعد الاستدلال ، واهتدى إلى الحق بعد طىّ هذه المنازل التى لابد منها للسائر فى سيره وللمسافر فى سفره ، ومثل هذا الرأى خطأ وضلال فى حق الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وأنا أدرى أن الأستاذ المودودى اقتدى بالقطب فى " ظلاله " ولكنه لم يهتد إلى الحق فى مقاله ، وإن كان وقع نحو قصور

فى تعبير صاحب " الظلال " أيضاً ، وعصمة الأنبياء من الشرك والكفر كلمة اتفاق وإجماع فى الأمة المحمديـــة قبل النبوة وقبل البلوغ ؛ فليس من الممكن أن يتردد فى التوحيد ، أو يبقى فى الحيرة ، أو يستفهم أحداً أو يستدل له بشئ ؛ فلا يمكن فى حياته لمحة من الوثنية والشرك وإن كان عارضاً غير مستقر ، وفى البين وفى وسط السير .

وأما ثالثاً : فكلام سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان من قبيل المجاراة مع الخصم تبكيتاً لأهل الشرك ، وإقامةً للحجة عـلى المنكرين ، وتنبيهاً لطيفاً على ضلالهم ، وإنقاذاً لهم من مزالقهم ، وهو طريق أهل البلاغة والدعوة بالحكمة ، لا أنه كان نفسه فى الحيرة والشك وعدم الاهتداء إلى الحق حتى يقال : لا بد للسائر من المرور من هـــذه المراحل حتى ينتهى إلى المنزل . وبالجملة فهذه نماذج من المؤاخذات وربمـــا يشتدُّ النقد فى بعضها حيث خروجها عن الجادة القويمة المستقيمة ، وإنما الغرض هنا ومضات خفيفة من الصواعق ، والله ولى التوفيق إلى الهداية .

ومن معايب كتبه وكتاباته أنه ربما ينبهه أحد من العلماء على أنه زلَّ قلمه وقدمه فى كذا وكذا فيتنبه أنـــه أخطأ ويحاول أن يصلحه فيغير تعبيره كأنه رجع عنه ، أو يغوره كأنه يأوّلـــه ، ويأتى فى الطبعات اللاحقة بتغير أو تعديل أو إصلاح ولكن لا يعلن رجوعه وبتغييره ؛ فالطبعات السابقة التى وصلت بأيدى الناس يقرءونه كما هو من غير أن ينتبهوا للإصلاح والتغيير ؛ فيبقون

فى ضلالهم ، وياليت لو أعلن وأبدى خطأه لجلت منزلته فى عيون الناس ، ولعفا الله عنه عما سلف ، ولكن بالأسف الشديد إنه لا يبدى ولا يعلن كأنه لم يخطئ .

ومن أمثلته : أنه فى حق سيدنا يونس عليه صلوات الله وسلامه ذكر أنه وقع منه تقصير فى القيام بفريضة النبوة حيث لم ينتظر حكم الله فأبق ؛

فيقول ما لفظه بالأردية :

تاہم قرآن کے اشارات اور صحیفہ یونس کی تفصیلات پر غور کرنے سے اتنی بات صاف معلوم ہوتی ہے کہ حضرت یونس سے فریضہ رسالت کی ادائیگی میں کچھ کوتاہیاں ہوگئی تھیں، اور غالباً انہوں نے بے صبر ہو کر قبل از وقت اپنا مستقر بھی چھوڑ دیا تھا

إلى أن قال :

پس جب نبی اداء رسالت میں کوتاہی کر گیا اور اس کے مقرر وقت سے پہلے بطور خود اپنی جگہ سے ہٹ گیا الخ ،

يقول : وبالجملة : إن الإشارات القرآنية وتفصيلات صحيفة يونس من أمعن فيها اتضح له أنه وقع من يونس - عليه السلام - تقصيرات فى أداء فريضة الرسالة ، ولعله لم يصبر وفارق مركزه قبل أوانه ، إلى أن قال : ولما قصر يونس النبى فى أداء رسالته وفارق محله قبل أوانه التى عينها الله تعالى الخ . وكان كلاماً غير مستساغ فنبه القوم على الخطأ فى القول ؛ فإن النبى إذا قصر فى أداء منصب النبوة فكأنه لم يكن أهلاً للتشرف بهذا

المنصب العظيم ، ومن نتيجة ذلك أن الله تعالى كان مقصراً فى هذا الاصطفاء والاجتباء ؛ فكان علم الله غير محيط وغير صحيح ؛ فبعد ما نبهه القوم غير تعبيره ولم يعلن ؛ فبقى فى الطبعة الأولى ، وكذلك فى رفع سيدنا عيسى عليه صلوات الله وسلامه إلى السماء حياً بجسده الشريف غير عبارته ، هكذا وهكذا له أمثلة ، الله يهدينا وإياه .

هذا ما أسلفته من قبل ؛ ودونك أمثلة أخرى فمنها ما يقول فى " تفهيم القرآن " (٢ - ٣٩٤ الطبعة الأولى) فى تفسير قوله تعالى : « وشهد شاهد من أهلها » : ورد فى بعض الروايات أن هذا الشاهد كان طفلاً فى المهد أنطقه الله ببراءته ؛ فيقول : لم يثبت هذا برواية يكون سندها صحيحاً ، ولاحاجة إلى أن يستعان بمعجزة بل هذا رجل بصير مجرب أدرك الحقيقة ، وربما يكون هو قاضياً أو حاكماً اه .

أقول : أما أولاً : فياليت لو طالع التفاسير المتداولة لم يجترأ بهذا فالحديث صحيح أخرجه أحمد فى " مسنده " وابن حبان فى " صحيحه " والحاكم فى " مستدركه " من حديث ابن عباس ، وكذا رواه الحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح على شرط الشيخين كما فى تفسير السيد الآلوسى .

وأما ثانياً : فيدل أمثال هذه المواقع على انحراف فى طبيعته فراراً عن المعجزات ؛ فكأن طبيعته تأبى عن المعجزات ،

وتضيق عن إدراك سعة القدرة الإلهية ، وقد أصبح مثل هذا شعاراً لهؤلاء المتظاهرين بالتحقيق ، وعلى كل حال يظهر من أمثال هذه البحوث بضاعته العلميـة المزجاة ، وعقيدته الخاطئة البعيدة عن مسلك أهل السنة والجماعة . ومنها: ما يقول فى تفسيره فى تفسير سورة " ص " (ص - ٣٢٧) وما بعدها وما قبلها بما تقشعر منه الجلود حيث حكى تلك الطامات فى سيدنا داود عليه الصلاة والسلام بسياق للبحث فى غاية الشناعة ؛ فقد حكى كلاماً طويلاً من الأناجيل ومهد له أولاً بتلخيص من كتاب سموئيل بما لايستساغ حكايته ، وكلام مستهجن قبيح ، ويؤكده فيقول : بأنه كان مندرجاً فى الأناجيل قبل نزول القرآن بقرون، ويقول : إن اليهود والنصارى كانوا يتلونه ويقرءونه ويؤمنون به، وشرّق وغرّب فى العالم كلـــه ، ولم يؤلف كتاب فى تاريخ بنى إسرائيل فى الممالك الغربية إلا وذكر فيه ذلك ؛ فيدعى كأنه تواتر وتوارث جيلاً بعد جيل فى التواريخ والأناجيل، ثم حكاه برمته ثم يقول : وبعد وصول هذه القصة القبيحة المنكرة المستهجنـــة إلى حد الشهرة لم تكن داعيـــةٌ للتنزيل أن يذكرها بتفصيل ، بل جاء بإشارات فى خفاء وحجاب .

ثم يقول صاحب " تفهيم القرآن " : والذى يطمئن به القلب أن سيدنا داود عليه السلام أبدى رغبته لأوريا أن يطلق زوجته لينكحها ، وهذه الرغبة كانت من مليك جليل القدر من رجل عظيم فى الدين ؛ فكان أوريا مضطراً لتلبية دعوته من غير

إجهار، ولفظه في كتابه " التفهيمات " (٢ - ٤٢) أبشع وأقبح مما في " تفهيم القرآن " فيقول هناك بأن داود تأثر من بيئة إسرائيلية في عهده ومما راج في عصره، فاقترح من أوريا طلاق زوجته . وفي أثناء هذه الظروف تسور عليه خصمان صالحان وقدما قضيةً مفروضةً تمثيليةً غير واقعية؛ فتنبه وتاب وأناب .

ويقول : إن داود عليه السلام كان علم محاسن تلك المرأة ؛ فكان يحب أن يكون مثل تلك المرأة زوجةً لصاحب مملكة ؛ فأصبح مغلوباً من هذه الرغبة وأبداها لأوريا بطلاق امرأته ، ويقول : لم تكن مثل هذه الرغبة مذمومةً في بني إسرائيل ، وبالجملة : تاب عن قبول هذه الرغبة بعد قصة الخصمين ولكن أوريا استشهد في الحرب فنكح سيدنا داود بتلك المرأة التي توفي عنها زوجها أوريا ، وهذا الذي أصبح منشأً لأكاذيب اليهود ، إلى آخر ما قال . وبالأسف الشديد يذكر تلك الطامات مرةً بعد مرة كأنه يتلذذ بحكايتها .

وصرح في (٤ - ٣٢٦) ما لفظه بالأردوية :

اس سے صاف معلوم هوا كه حضرت داود سے قصور ضرور هوا تها، اور وه كچھ ايسا قصور تها جو دنبيوں والے مقدمے سے كسى طرح كى مماثلت ركھتا تها - إلى أن قال : ليكن اس قصور كى نوعيت ايسى شديد نه تهى كه اسے معاف نه كيا جاتا -

ما ترجمته : إنه تبين من هذا صريحاً أنه صدر منه زلة وتقصير يماثل قضية النعاج نوع مماثلة ، غير أن هذا التقصير لم يكن شديداً حتى لا يغفر ، وحتى ينزل من منصبه الرفيع إلخ .

ويقول فى (٤ - ٣٢٧) ما ترجمته : إنه ظهر بطبيعة الحال مع قبول توبته وتبشيره برفع الدرجات أن ما صدر منه من فعل كان فيه دخل لشهوة نفسانية ، وكان له صلة باستعماله السلطة الحكومية لشئ غير مناسب ، وكانت وصمة لاتليق بشأن مليك وحاكم .

فهذا التفسير فيه مؤاخذات :

أما أولاً : فكان لا لزوم لحكاية عبارات الأناجيل بنصها وفصها بما تفتت الأكباد .

وأما ثانياً : فتمهيده بأنه كان متواتراً مشهوراً عند مؤرخيه وكانوا يؤمنون والقرآن أشار إليه فى خفاء ، شنيع وقبيح كأنه يصدقه ويؤيده .

وأما ثالثاً : فنسبة النبى المعصوم إلى شهوات النفس وعدم الصبر والاضطرار إلى أن يدخل امرأة أوريا فى زواجه واقتراحه منه طلاقها كله شنائع فظيعة .

وأما رابعاً : ففيه تصريح بأن النبى المعصوم الذى عصمه الله من شهوات النفس تأثر من بيئة إسرائيلية رائجة فى عهده ، وأن أمثال هـــذه التدابير فى تلك البيئـــة كانت غير بعيدة ، وكل ذلك سوء فهم لمعرفة ذلك المنصب الجليل ومنصب النبوة العظيمة ؛ فهل يتصور فى حق نبى معصوم أنه يدخل فى غمرات النفس وشهواتها؟ وهل يتصور أنه يأخذ تدبيرات دقيقة للحصول على ما يشتهيه نفسه ؟ إنا لله ؛ وإذن يرتفع الأمان عن منصب النبوة المعصومة .

وأما خامساً : فاتهام نبى معصوم جليل وخليفة عظيم بأنه استفاد من سلطة حكومته عملاً يشينه ولايليق به ، وإن منصبه كان أعلى من أن يرتكب أمراً ينحطُّ عن منصبـــه ، كل ذلك حديث خرافة يجلُّ عنه منصب نبى معصوم وخليفة حق .

وأما سادساً : فسياق تفسيره هنا يكاد يضل قارءه فى شأن منصب سيدنا داود عليه السلام ولاسيما من لم يكن له صلة بالدين ولم يكن لـــه فهم بحقائق التنزيل بل يكاد يكون ذريعــةً إلى مؤاخذة سائر الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، ووسيلةً إلى سوء الفهم فى حق هؤلاء العظام، وإذا ساءت الظنون بالرسل والأنبياء فما ظنك بغيرهم من الصحابة والتابعين ؛ فإذن يرتفع الأمان عمن جاءوا بالدين عن رب العالمين بواسطة جبرئيل الأمين، والله يقول الحق ويهدى السبيل .

ومنهـــا : ما يقول فى تفسيره (١ - ٣٤٣ وما بعدها) فى تفسير قوله تعالى : « إنى أعظك أن تكون من الجاهلين » ما ترجمته : لايظن أحد أن روح الإيمان كان ناقصاً فى نوح ، أو أنه كان فى إيمانـــه شائبة من الجاهلية ، غير أن الحقيقة أن الأنبياء يكونون بشراً ، ولايقدر من البشر أحد أن يقوم كل حين بأعلى معيار الكمال الذى عينه لكل مؤمن ولكن ربما يأتى على النبى مع كونه على منصب أعلى وأشرف أن يكون مغلوباً فى مسألـــة نفسانية دقيقة عن زلات بشريـــة ، ولكن سرعان ما ينتبه بعد تنبيه الله إياه ويتوب ولايتأخر لحةً عن إصلاح

خطئه ، إلى أن قال : إن من ترك الحق وآثر الباطل ثم يظن هو لمثله أنه من صلبه وأنه ابنه ؛ فهذه جاهلية ؛ فإذا نبه على ذلك عاد إلى ما يقتضيه الإسلام اه .

ففيه أما أولاً : فإنه أثبت للنبى المعصوم جاهليةً آخراً بعد ما نفاها أولاً .

وثانياً : أنه نسب إلى سيدنا نوح أنه تارةً يكون مغلوباً من نقائص بشرية .

وثالثاً : أن كل نبى يفعل ما يفعل ابتغاءً لوجه الله جل ذكره ، وشأنه أرفع من أن يتأثر من بيئة غير صالحة ، بل هو تحت ربوبية خاصة وأنه يكون أجل من أن يتخذ سنة جاهلية فيأبى كل ذلك منصبه الجليل ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

ومن الغريب المدهش أنه يدعى فى كتابه " رسائل ومسائل " (١ - ٣٠٦) الطبعة الثانية كما ينقله مولانا الشيخ القاضى مظهر حسين رئيس إدارة " خدام أهل السنة والجماعة " فى كتابه " مودودى مذهب " : إنى لا أرتكب أمراً أكون فيه مغلوباً عن العواطف والميول من فضل الله تعالى ، وكل ما أقوله فأزنه وزناً ، وأنا مطمئن بأنى لم أقل كلمةً غير الحق اه . فانظر يا رعاك الله النبى تارةً يغلب عن العواطف والنقائص البشرية عنده ، وتتأثر هو من بيئة جاهلية غير صالحة ، ولكن الأستاذ المودودى منصبه أرفع وأعلى من أن تخرج كلمة منه

ويصدر خلاف الحق ، فيتوهم القارئ منه أن منصب الأستاذ المودودى إذن يكون أرفع من منصب نبى كريم ورسول عظيم مع أن هناك انعقدت المشيئة الأزلية بعصمة النبى والرسول ، وهو دائماً تحت رعاية ربانية خاصة ، والبشر غير النبى ما عدا أوليائه المخلصين دائماً تتلاعب بـه الأهواء والنزعات ، وتتأثر من تأثير البيئة ولا يكون محفوظاً من عواطف بشرية ، فعليك أن تتأمل فى هذا الإعجاب الغريب إلى أى حد بلغ بالمرأ .

ومن الموسف المؤلم أن الأستاذ المودودى يدعى لنفسه هذه العصمة ولكن يصرح فى " تفهيماته " (٢ - ٤٣) الطبعة الثانية ما لفظه :

اور یه ایک لطیف نکته ہے که الله تعالی نے بالاراده ہر نبی سے کسی نه کسی وقت اپنی حفاظت اٹھا کر ایک دو لغزشیں ہوجانے دی ہیں تاکه لوگ انبیاء کو خدا نه سمجھیں اور جان لیں که یه بشر ہیں اھ -

ما ترجمته : بأن هناك نكتة لطيفـة بأن الله يريد أن يرفع عصمته من كل نبى بين حين وآخر ، فيصدر منه بعض زلات لكى يعلموا ان النبى ليس بإلـه ، وأن يعلموا أنه بشر اهـ . فيا سبحان الله ! أليس يكفى لكون النبى بشراً ان يشرب ويأكل ويولد من بطن أمه يصح ويمرض ؟ وما إلى ذلك من خصائص بشريـة ؛ فصدور المعاصى وحده يبدى بشريته ؛ فيا للأسف ! وبالجملـة : شناعـة هذه الفكرة غنية عن الانتقاد ؛ فالله يهدينا وإياه .

ومنها: ما قاله فى سيدنا آدم عليه السلام فى تفسير سورة "طه" (٣ - ١٣٣) فعبر تعبيراً فى غاية البشاعة والشناعة؛ فيصور ما صدر منه بأن تقصيره البشرى أن الشيطان لما أغراه فلم يثبت لـه قدم وزلّ، وهاجت جذبته عند إغراء الشيطان وغلبته، ولم يقدر على ضبط نفسه؛ فهوى فى حضيض المعصية عن أوج الطاعة ما لفظه بالأردية:

یہاں اس بشری کمزوری کی حقیقت کو سمجھ لینا چاہئے جو آدم علیہ السلام سے ظہور میں آئی -

إلى أن قال:

بس ایک فوری جذبے نے جو شیطانی تحریض کے زیر اثر ابھر آیا تھا ان پر ذھول طاری کردیا اور ضبط نفس کی گرفت ڈھیلی ہوتے ہی وہ طاعت کے مقام بلند سے معصیت کی پستی میں جا گرے الخ -

فعلى الأقل مثل هذه التعبيرات فى حق الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه غاية سوء الأدب لا يقوله من يقدر فى سويداء قلبه منصبهم الجليل.

وظاهر أن الكلمات العربية المشتركة لمعان يختلف حقائقها فى محالها ومجالها، والعالم الأريب مضطر إلى فهم الحقائق وتفاوت مراتب التعبير؛ فإن دائرة الألفاظ ضيقة لا تفى لأداء الحقائق المتفاوتة إلا بنوع من التسامح والتجوز، وإجراؤها على السواء فى كل موضع لايأتى إلا ممن يجهل هذه الدقائق أو لايتأدب مع الرسل والأنبياء، ويعامل معهم معاملة عامة أفراد البشر، وقد صرح الأستاذ المودودى فى مقالة له التى بعثها إلى ذلك المؤتمر

الثقافى الإسلامى المنعقد فى لندن فى حق سيد الرسل خاتم الأنبياء محمد ﷺ بما لفظه :

نه وه مافوق البشر تهے نه بشری کمزوریوں سے بالاتر تهے -
كما فى مجلته " ترجمان القرآن " أبريل ١٩٧٦م .

بأنه ﷺ لم يكن فوق البشرية ولا أرفع من النقائص البشرية ، ثم لما انتقد عليه أوّله بأن الغرض من النقائص البشرية الخصائص البشرية ، وهذا تأويل بل تحريف للمحاورات السائرة ، وقد استعمل ذلك التعبير فى سائر الأنبياء وفى عامة كتاباته وتأليفاته ، وفى حق أصحاب رسول الله ﷺ كما أسلفنا ذلك من قبل ، ويقول فى مجلته الشهرية " ترجمان القرآن " (ص - ١٢٩) سنة ١٩٥٥م ما ملخصه واضحاً : أن قصة آدم عليه السلام لم يبينها الله عزوجل لتزكية ساحته بل ليبين ما صدر منه من الزلة والتقصير بأنه مع تنبيهات الله سبحانه إياه ابتلى فى كيد عدوه وشركه ، لم يكن هو فقط ابتلى بهذه الفتنة بل هو وذريته جمعاء لايزالون يبتلون بها . ويقول : كل ذلك ليتضح محاسنه وتقصيراته ، فامتحنه الله ، فظهر أن هذا الراجى (للمنصب) تحت تأثير الحرص والطمع تزل قدمه ولاتثبت ، وأنه يغلب نسيانه على علمه وحفظه ، إلى آخر ما قال من الخرافات ، وتعبيره هذا على طوله حديث زيغ وضلال فى حق نبى معصوم أجتباه الله واصطفاه ، وفى كلامه هنا فى حقه أصناف من المؤاخذات والملاحظات ، وكلامه هذا يدل على أنه رجل ما له

صلة بالإسلام، وهو حديث عهد بالإسلام لايعرف النبوة ولا النبى ولا الرسول ، ولا حقائق التعبيرات القرآنيـــة ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وبالجملـــة : لايلزم من التعبيرات اللفظيـــة المشتركة فى الإطلاق اشتراكها فى المعانى المرادة ، ولا تسويتها فى مراتبها ؛ فانظر إلى كلمة « مليم » فقد ذكرها الله سبحانه فى الذاريات فى حق فرعون فقال: « فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم » ونفس الكلمـــة جاءت فى حق سيدنا يونس عليـــه السلام فى الصافات فقال تعالى : « فالتقمـــه الحوت وهو مليم » فهل الحقيقة فيهما سواء؟ كلا ثم كلا، فرعون كافر أذله الله وأخزاه، ويونس نبي اختاره الله واصطفاه ؛ فمن سوّى فى المعانى لأجل التعبير القرآنى فهو مجنون لايدرى ما يقول ، وجاهل بالحقائق لايعى ما يقال ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا .

وبالجملة : كلامه وتفسيره فى قصة سيدنا داود أبشع من كلامه فى " تفهماته " فى الجزء الثانى ، بيد أن تعليقه هناك فى " التفهمات " (٢ - ٤٧) فى غاية الشناعة فظيع منكر إلى الغاية؛ وقبل أن نسوق كلامه نذكر الحديث الذى رواه أحمد والبخارى ومسلم بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة من حديث أنس ما فيه أعظم مفخرة وأعلى مأثرة للأنصار من إيثارهم إخوانهم المهاجرين على أنفسهم وإشراكهم فى أموالهم وأزواجهم ومساكنهم فى عقد المؤاخاة والموالاة ما لانظير له فى تاريخ البشر على بسيط

الأرض؛ فيحدثنا هؤلاء الأئمة من حديث أنس : أن عبد الرحمن ابن عوف قدم المدينة ؛ فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع الأنصارى ؛ فقال له سعد: أى أخى ! أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها ؛ فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك داونى على السوق ، إلى آخر الحديث . وهـذا لفظ أحمد ، وفى لفظ للبخارى : أىّ زوجتى هويت ، وفى لفظ : شئت حتى أنزل لك عنها .

فيا ترى هل رأيت فى تاريخ البشر إيثاراً أعلى منه ، وكان يكفى أن يناصفه فى ماله وزوجتيه ، ولكن انظر إلى كلمة : أيهما أعجب إليك، وإلى قوله : أيهما هويت ، ثم انظر إلى استغناء عبد الرحمن بن عوف وترك حقه ودعائه له بالبركة ؛ فانظر إلى هـذا الإيثار العجيب ، وإلى هـذا الاستغناء الغريب ، كأنهم ملائكة فى صور البشر ، ولقد صدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول فى التنزيل العزيز : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون فى صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسم ولو كان بهم خصاصـة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » الحشر (٩) .

وبالجملة : هذه ميزة للإسلام والمسلمين لاتجدها فى أى قوم من من أقوام العالم ، ولا فى أى دين من الأديان ، ولكن الأستاذ المودودى فى " تفهيماته " (٢ - ٤٧) مسخها وحقرها

وقام فى هذا المقام ،قام رجل ليس فى قلبه إيمان ينتقم من الإسلام والمسلمين، مزية لاتبارى وميزة لاتجارى من محاسن الإسلام ومن مفاخر الأنصار يجعلها الأستاذ المودودى عادةً إسرائيليةً رائجةً فى اليهود ، ويقول هو : منهم أخذ الأنصار هذا الأدب السارى بينهم ؛ فيقول ما ترجمته اللفظيـــة : لم يكن عيباً فى بنى إسرائيل لو طلب أحد من آخر أن يطلق زوجته حين أحبها وهواها ولا يسوؤه ذلك بل يعدُّ ذلك من مكارم الأخلاق ، فيطلقها ويزوجها آخر ، وهذا الخلق اليهودى أثر فى بيئة أهل المدينة من الأنصار حتى إن بعض الأنصار من أجل هذا استعدوا لتطليق أزواجهم وإنكاحهم من إخوانهم المهاجرين اهـ .

انظر يا رعاك الله! كيف جعل هذه المحاسن الإسلامية آداباً يهوديةً رائجةً بينهم ؛ فلا إيثار ولا مأثرة ، ولا إحسان ولامكرمة، إنا لله وإنا إليه راجعون؛ فيدعى أن داود عليه السلام لو أحب زوجة أوريا وهواها ، وتمنى واقترح من أوريا أن يطلقها لكى يتزوجها فليس هناك مسبة ولاعار حيث كانت هذه الآداب وهذه العوائد ساريةً فى معاشرة اليهود؛ فيسلم تلك القصة الإسرائيلية ويصدقها ولكن يخففها تنزيهاً لساحة النبوة ويقرب إلى الأذهان استبعادها ، هذا هو تفسير الأستاذ المودودى، وهذا هو " تفهيم القرآن " للمودودى ما لايضاهيه تفسير ولاتفهيم ، نعم لايضاهيه تفسير فى العالم فى هذه الفظائع .

فهل الأدب الإسرائيلي أثر في طبائعهم فاستعدوا لتطليق الأزواج ؟ ! أو انقادوا لذلك لأجل عقد المؤاخاة طلباً لرضى الله ورضى رسوله ؟ وهل كان في اليهود مناصفة الأموال والحقول والمزارع والبيوت والـدور حتى استعدوا لتنصيف المساكن والبيوت ؟ ولما ذا تعامى عن أحاديث المؤاخاة وتاريخ الإسلام فلم يشر إليه بل اقتنع بذكر أدب اليهود وخصائلهم وجعل إيثار المسلمين لأجل اتباع اليهود في عوائدهم وعشرتهم؟ ! فيا حسرتي على هذا الفهم الخاطئ ويا أسفي ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ومنها : ما يقول في " تفهيماتـه " (٢ - ١٢٢) من الطبعة الخامسة : إن قوله : « اجعلني على خزائن الأرض » ما ترجمته : ليس مراده كما يفهمه بعض المفسرين أنه اقترح أن يكون وزيراً للمالية في المملكة فحسب بل كان اقتراحاً ومطالبة للدكتاتورية ، ولفظه :

بلكه يه ڈكٹيٹر شپ كا مطالبه تها ـ

فحصل لسيدنا يوسف من الاقتدار والسلطة ما يقرب مما حصل لمسوليني في إيطاليا، ويقول: إن مسوليني كان حياً يرزق عند ما كان حصل له الدكتاتوريـة المطلقة غير أن ملك إيطاليا لم يكن يوافق في العقيدة مسوليني وكان تحت سلطته مجبوراً مقهوراً وملك مصر كان يوافقه في المعتقد .

وفى هذا مؤاخذات :

أما أولاً : فتشبيه نبى صالح من الأنبياء بمثل رجل جبار من أظلم خلق الله فى أرباب السلطة كمسولينى فى إيطاليا فى غاية الشناعــة ، وتاريخ العصر الحاضر يعرف مسولينى وهتلر بما لايماثلـه أحد من الملوك والجبابرة فى القسوة والجفوة ، وقد قصر تاريخ البشر عن تقديم أمثالها فى القسوة والهمجية .

وأما ثانياً : فهل يمكن أن يكون نبى من الأنبياء يستدعى ويحب أن يكون مختاراً مطلقاً فى المملكـة يفعل ما يشاء من غير مسئولية أمام الله ويوم الحساب .

وأما ثالثاً : فكل ذلك يدل على أن الأستاذ المودودى لا يحترم فى قلبه منصب النبوة والرسالة وإنما يدركه كأنه منصب من المناصب الدنيويـــة وسيلــة للاقتدار والسلطان والحرية والاستقلال ؛ فرحم الله من أنصف وأدرك هذه الحقائق الشرعية والمناصب الدينية ؛ فتعالى الله الملك الحق من أن يبعث نبياً جباراً ظالماً فى البلاد ، صاحب سلطة واستبداد . لا يكون عليه مسئولية أمام القانون والجمهور ، مع أن الأنبياء والرسل يكونون من أتقى البشر وأرحم الناس وأرأف الخلق ، ولهم عواطف كريمـة مع الأمـة وإن كانت تتفاوت المراتب ؛ فهم أرفع وأعلى من أن يتشبهوا بالجبابرة من الأكاسرة والقياسرة ، ويجب حسن التأدب فى التعبيرات بالأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ومنها : ما يقول فى سيدنا موسى عليه السلام فى كتابه " رسائل ومسائل " (ص - ٣١) الطبعـة الثانية ، وفى مجلته " ترجمان القرآن " عدد مايو ويونيو ويوليو وأكتوبر من سنة ١٩٤٤ م ،وفى " ترجمان القرآن " (ص - ٥ ،ج - ٢٩ عدد - ٤) ما تلخيصه : أن موسى عليه السلام ارتكب معصيةً كبيرةً قبل نبوته بأنه قتل رجلاً ولما عاتبه فرعون على ذلك القتل فاعترف بقوله : « فعلتها إذاً وأنا من الضالين » ويقول : إن مثل موسى كفاتح عجول يقتحم فى الأمام من غير أن تتمكن سلطته ، فيتقدم إلى الأمام ووراءه يشتعل الفساد والبغى ناراً فى الفلاة والصحراء إلى آخر ما قال .

ففيه نسبة إلى حضرة موسى عليه صلوات الله وسلامه بأنه قاتل نفس، وأنه فاتح غير مدبر مستعجل ، وأنه ضال ، مع أن القتل كان خطأً وليس بعمد ولا أراد قتلاً، وليس معنى الضلال ما يرادف الكفر والغىّ ويخالف الرشد والهداية ، وقد أوضحت سالفاً أن الكلمات فيها اشتراك لفظى ، ووقع التعبير فى التنزيل العزيز فى سيد الأنبياء وإمام المتقين عليه صلوات الله وسلامه : « ووجدك ضالاً فهدى » ومن ذا الـذى يقول - والعياذ بالله - بضلاله بالمعنى المعروف .

ومنها: ما يقول فى " ترجمان القرآن " عدد مايو ١٩٥٥ م (ص - ١٥٨) : إن الأنبياء مع كونهم مقربين ومقبولين هم

بشر وعباد يخطئون فى الرأى وفصل الأمور وليسوا بآلهـة ، بل يمرضون ويبتلون ويعاقبون ، ولفظه بالأردية :

حتاكه قصور بهى ان سے هو جاتے تهے، انهيں سزا تک ديجاتى تهى-

وفى حوار اللغة الأردية تعبيره فى غاية الشناعة ما مفهومه : أنهم تصدر عنهم تقصيرات فيجازون ويعاقبون أى بصدور تلك التقصيرات ، يفهم منه قارئ كأنهم يرتكبون جرائم فيجزون بها جزاءً .

فهذه التعبيرات وأمثالها فى حق الأنبياء الكرام صفوة عباد الله عليهم صلوات الله وسلامه بطبيعتها يحدث فى قلوب العامة أنهم كسائر أفراد البشر يصدر عنهم ما يصدر عن البشر كلهم لا اختصاص لهم ، وهذه هى الروح التى سرت فى تعبيراته فى حق الأنبياء ، والصحابة الأولياء ، وهم العباد المكرمون ، وعند ربهم محترمون .

ومنها : ما يقول فى " التفهيمات " (١ - ١٦١) الطبعة الخامسة ما لفظه :

اور تو اور بسا اوقات پيغمبروں تک كو اس نفس شرير كى رهزنى كے خطرے پيش آئے هيں ، چنانچه حضرت داود عليه السلام جيسے جليل القدر پيغمبر كو ايک موقع پر تنبيه كى گئى كه :
« لاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » إلخ .

ما ترجمته : دع هذا وإن الأنبياء ربما تكاد تضلهم هذه النفوس الشريرة ، ومن أجل ذلك نبه الله مرةً مثل داود عليه

السلام مع جلالة قدره بقوله : « لاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » الآية؛ فهذا يصرح بأن الأنبياء غير معصومين من شر النفوس مع أن أمثال هذه التعبيرات نظراً إلى جلالة قدرهم ورفعة مكانتهم يؤاخذون بخطرات ووساوس، يتلقون ما لا يترقبون من قبيل تلقى المخاطب بغير ما يترقبه، ومثله كثير فى القرآن الكريم .

ومنها : ما يقول فى "تفهيمه" من الجزء الرابع فى سورة "ص" فى تفسير قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب » الآية ، بعد تفصيل طويل ، ويعده من أشد مشكلات القرآن ، ما ملخصه : إن ما ورد فى تفسيره فى حديث رواه البخارى ومسلم من عدة طرق (من حديث أبى هريرة) مرفوعاً : « لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس مجاهد فى سبيل الله تعالى ، ولم يقل : إن شاء الله؛ فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة وجاءت بشق رجل ؛ فقال ﷺ : « فوالذى نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله ، لجاهدوا فرساناً » .

فيقول الأستاذ المودودى : هذا الحديث وإن كان صحيحاً ولا يمكن الكلام فى صحة سنده ولكنه غير صحيح من جهة العقل الصريح ؛ فالعقل ينادى بأعلى نداء أنه لايمكن أن يقوله رسول الله ﷺ هكذا ، وكل من يسعى فى إساغته حلاقم الناس فهو يجعل الدين مضحكة للناس ، ثم جاء بتعبير لتصوير

الكلام تصويراً بلغ الغاية فى الشناعة والفظاعة ، يقول : وهل من الممكن أن يجامع رجل طول الليلة نحو إحدى عشر ساعة؟ بالليل بتسلسل واستمرار من غير أن يتنفس فى البين ، يباشر فى كل ساعة نحو ست من الأزواج ؛ فهل هذا يمكن، كلا ثم كلا ، إلى آخر ما قال من تعبيرات شنيعة وتصويرات قبيحة وأسلوب منكر بلغ الغاية فى القباحة بما تقشعرُّ منه الجلود والقلوب ، نبى معصوم وهبه الله قوة أربعين رجلاً من رجال الجنة ، وكل رجل من رجال أهل الجنة موهوب له قوة مائة رجل كما فى الأحاديث ؛ فإذن هو موهوب له قوة أربعة آلاف رجل ، ثم هو نبى وملك حريص على الجهاد فى سبيل الله والقتال مع أعداء الله ، ويحب كثرة المجاهدين فى سبيل الله من أبنائه قبل جنوده ، يصوره هكذا فى أبشع صورة كأنه رجل مغرم بالمباشرة محب للذائذ النفس وشهوات الطبيعة ، مغلوب الفطرة ، فيا للعار ويا للشنار ! ! وهل يمكن إهانة لمنصب النبوة والنبى المعصوم فوق هذا ؟

ثم هو يكذب الحديث الصحيح الصريح فى أصح الكتب بعد كتاب الله ، لأجل عدم قبول عقله إياه، فيلعب بعقله وجهله بأمثال هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فأف لمثل هذا العقل السخيف الذى يتعقب حديث رسول الله ﷺ الصحيح ، ثم من العجيب أنه لم يأت هناك بشئ تنحلُّ به العقدة ، وينحلُّ به

الإشكال ، بل زاد الأمر غمة" فيقول : لعل رسول الله ﷺ حكى قول اليهود فى سليمان عليه السلام، فلم يفهمه الصحابة فرووه هكذا، وأنت تعلم أن الصحابة إذا أخطأوا فى فهم كلامه ﷺ وهم أذكياء الأمـة فارتفع منهم الأمان ؛ فارجع بصرك النافذ أيها القارئ فى هذا الكلام الغير المستساغ هل غادر الرجل شيئاً مما يكون وصمة عار ومسبة للنبى المعصوم بهذا الأسلوب المرذول والتعبير المخذول ، ونقد الصحابة فى عدم فهم الحديث ، والغلط فى الرواية ، فالله يهدينا وإياه .

وقد قلت وأقول : إن كلامـه فى حق الأنبياء والرسل كلام كله فظيع لايستساغ ولا يتحمل،وكذلك فى حق الصحابة عليهم رضوان الله ؛ فهذا هو " تفهيمه " لأدرى ولست إخال أدرى كيف يخفى على الناظرين المغرمين به أمثال هذه الأمور ؛ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ؛ فرحم الله من أنصف ، وانقاد للحق ولم يتعسف .

فقد اتضح كصديع الفجر أن الأستاذ المودودى ـ هداه الله إلى الحق ـ قد حط من كبار الأنبياء ؛ فحط آدم ، ونوحاً ، وإبرهيم ، وموسى ، ويوسف ، وداود ، ويونس ، حتى خاتم النبيين وحبيب رب العالمين سيد ولد آدم أجمعين ، عليه وعليهم صلوات الله وسلامـه وتحياتـه إلى يوم الدين ، بكلمات قبيحة فى غاية الخطر ، وما قاله فقهاء الأمة وأعيان الإسلام وبحور العلم من الإمام أبى يوسف فى " كتاب الخراج "

والقاضى عياض المالكى فى " الشفاء " والحافظ شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيميـــة الحنبلى فى كتابـــه " الصارم المسلول على شاتم الرسول " الذى يتدفق فيه علمه الفياض كالبحر الذخار والغيث الصيّب المدرار ، وكلام تقى الدين الإمام السبكى الشافعى فى كتابه " السيف المسلول " من أقدم العصور إلى عالم الشام وفقيهها ابن عابدين فى تأليفه " تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام " ، وإلى إمام العصر المحدث الكشميرى فى كتابه "إكفار الملحدين فى ضروريات الدين" فكلماتهم بين يدى القوم لامعة ساطعة بالحق صادعة بالحكم معروفة فى كل رجل مسلم سبّ رسول الله ﷺ أو كذبه ، أو عابه أو تنقصه ، أو سب نبياً من الأنبياء أو عابه ، ذلك الحكم الشرعى الذى اتفقوا عليه وأطبقوا وأجمعوا ؛ فمن شاء فليرجع إليه من هذه المآخذ ، وكلها مطبوع ما عدا كتاب السبكى .

وعسى أن تكفى هذه النظائر والأمثلة فى التبصرة والانتقاد فى هذه الفرصة القصيرة من " تفهيمه " و " تفهيماته " لأولى بصيرة ونصفة ، والله سبحانه ولى الأمور .

هذا ؛ وصلى الله على حبيبه سيدنا محمد ، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين ، وعلى الصحابة والتابعين ، وبارك وسلم إلى يوم الدين .

☆ ☆ ☆

الفهرس